

مطريانيه بنى مزار
والبيهقي

الله يَعْمَلُ ... لِلخَيْرٍ



الأب أنتونى م. كونيارس
نكله الى العربية، إ.م.

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس

ترجم هذا الكتاب عن:

Fitting Together The Pieces Of Your Life
Rom. 8:28

By Fr. Anthony M. Coniaris
Light and Life Publishing Company
P. O. Box 26421,
Minneapolis, Minnesota U.S.A.



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية (١١٧)

اسم الكتاب: الله يعمل ... للخير

اسم المؤلف: الأب أنطونи م. كونيارات

اسم المترّب: ي. م.

الطبع: الأولى م ٢٠٠٢ م

ال السادسة م ٢٠٠٩

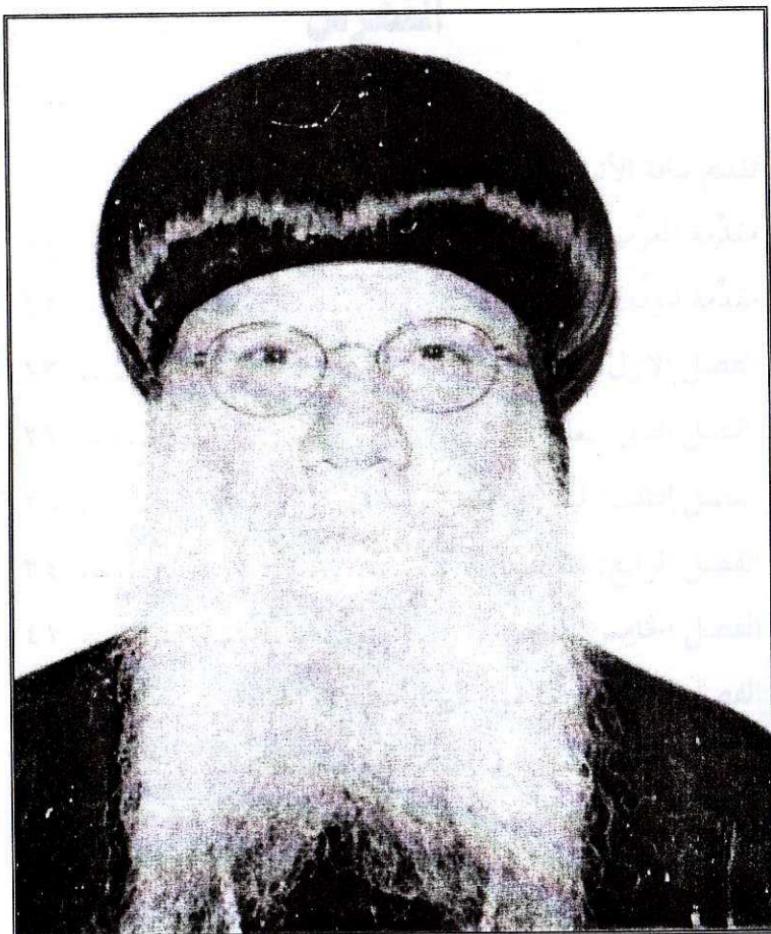
اسم المطبعة: مدارس الأحد

٧٠ شارع روض الفرج

ت: ٢٢٠٢٩٧٤٤

رقم الإيداع: ١٨٦٤٢ لسنة ٢٠٠٤ م

الغلاف والصور: الفنان كمال غطاس



نيافة الحبر الجليل الأنبا أنطونيوس

أسقف بنى مزار والبهنسا

الفهرس



تقديم نيافة الأنبا أنطونيوس أسقف بني مزار والبهنسا	٨
مقدمة العرب	١١
مقدمة المؤلف	١٢
الفصل الأول: في كل الأشياء	١٣
الفصل الثاني: نعلم	٢١
الفصل الثالث: ليس في بعض وإنما في كل الأشياء	٢٦
الفصل الرابع: الله يعمل	٣٤
الفصل الخامس: للخير	٤١
الفصل السادس: ما هو الخير الأعظم في الحياة؟	٥١
الفصل السابع: تعريفات إضافية عن الخير الأعظم	٥٨
الفصل الثامن: لأولئك الذين يحبون الله	٦٥
الفصل التاسع: هل حقاً تحب الله؟	٧٢



ما كان عليه الإنسان من قبل كقول القديس أغسطينوس:

[يا للخطأ السعيد — الذي سقط فيه أبوانا آدم وحواء —
الذي أهَلَ لنا هذا الفداء العظيم].

كما أن حياة الإنسان لا تضبطها الصدفة بل هي في تدبير
يدي الله الحكيم، فتقلبات الحياة يجب أن تزيد الإنسان إيماناً وثقة
بالله ضابط الكل، وهو يقدر أن يُخرج من الأكل أكلاً ومن
الجافي حلاوة (قض ١٤ : ١٤).

فلا يجب علينا إلا أن نضع كل الأشياء بين يدي الله
— الأشياء الرديئة قبل الجيدة — فالله عامل في كل الأشياء لتنتهي
بالخير في النهاية. فالله يحرس ويحافظ ويضبط كل الأشياء لتعمل
لخيرنا. حتى الأشياء التي نخال أنها متعبة، الله يعمل فيها لبنياننا
التشكيلي ولنمو شخصيتنا وصفاتنا لتهُّلَّ لملوكَ ابنِ محبه.

فالقديس يوحنا الحبيب سمحَ ربَّه بالنفي إلى جزيرة بطرس
لتشكيل بنائه الروحي، والقديس بولس الرسول كانت له شوكة
في جسده عرف بها أن النعمة تكفيه (٢٩ : ١٢)، فيجب ألا
تزعجنا الأمراض والتجارب فإنها تفيدنا بل يجب أن نشكر على

تقديم نيافة الأنبا أنطونيوس

أسقف بنى مزار والبهنسا

باسم الآب والابن والروح القدس
إله الواحد. آمين

حُقاً إن الأمور تعمل معاً للخير (رو ٨ : ٢٨) فعندما خلق
الله آدم وحواء خلقهما على صورته ومثاله وباركهما ووضعهما
في جنة عدن وأعطاهما سلطاناً على كل الخليقة وكانتا يسمعان
صوتَ ربِّ الإله ماشياً في الجنة (تك ٣ : ٨) وكان ذلك حسناً
جداً، وعندما خالف الإنسان وصيحةَ رب طُردَ من الجنة وكان
هذا سيئاً جداً وضاعَ الإنسان بل ومات موتاً جسدياً وروحياً.

أصبحت الصورة قائمة للغاية ولكن الله أبا كل صلاح،
استخدم خطية آدم ليجلب أعظم فداء عرفه العالم، «فُسْلَلَ
المرأة» «السيد المسيح» يسحق رأسَ الحياة» (تك ٣ : ١٥)، فجاءَ
المسيح في ملءِ الزمان (غل ٤ : ٤) وسحق رأسَ الحياة على
الصلب، وصار للإنسان بهذا الفداء شركة مع الله «شريكاً
للطبيعة الإلهية» (بط ٤ : ٢) ووارثاً لملكته. وهذا أعظم بكثير

مقدمة المَرْبُّ

يظل الله في حياة الإنسان، على الدوام، هو الحاجة الحيوية، والحقيقة العظمى، والخير الأسمى. ومن ثم، فالتسليم لإرادته الصالحة هو الوسيلة الفعالة والنافعة لتخليص النفس من تأثيرها و Yasasها و قنوطها..

فالله لا يتغير حسب الظروف والأحوال، ولا يخطئ في حساباته، لذلك فهو يعمل الخير دائمًا لأجل المتمسّكين به والمتكلمين عليه، خصوصاً في الأيام الصعبة القائمة التي تسوء فيها الأحوال وتكثر العواصف والأنواء.

عزيزي القارئ، هذا الكتاب القييم هو للأب أنتوني كونيارس عينيا بوليس بالولايات المتحدة الأمريكية، يوضح فيه كيف أن: «الله يعمل في كل الأشياء للخير للذين يحبونه»، وهي الآية رقم ٢٨ من أصحاح ٨ من الرسالة إلى أهل رومية... .

والمؤلف يُرشِّدك في هذا الكتاب إلى أهمية ثبيت النظر على الهدف الروحي الأسمى، والاتكال على رب الذي بيده كل مقاليد أمورنا، حتى نستمدّ منه قوّةً وعوناً، فنستطيع أن نتحمل الصعوبات التي تواجهنا بروح شاكِرة؛ لا سيما في هذه الأيام التي ساد فيها روح العالم وزادت الضوابط، وحلَّ القلق بالآفوس، وتجاذبتها الهموم. نصلّي إلى إلها الثالوث القدس المُحب أن يبارك في كلمات هذا الكتاب؛ ليكون سبب تعزية وبنيان وتنمية لإيمان الكثيرين.

هذه النعمة الملوّحة لنا (في ١: ٢٩)، فالله يحول الشرّ نفسه إلى خير وبركة للكل.

ويقول المثل: «سأل عن الرفيق ولا تسأل عن الطريق». فإن كان الله رفيقك فالأمور تعمل للخير بالتأكيد إن أحبيناه، وإن عرفناه نخلص بمحبّاته، ونرت ملوكه وهذا هو الخير الأعظم للذين يحبون الله.

إنه كتاب مفيد لأولاد الله ليعرفوا مغزى الحياة التي نعيشها.

نشكر كل من له تعب، والجهد المبذول للكاتب وللمترجم لهذا الكتاب، نسأل الله أن يأتي بشر لكل من يقرأه بصلوات أبي قداسة البابا شنوده الثالث، أدامه المسيح لنا وللكنيسة، وإلهانا المجد إلى الأبد آمين.

بنعم الله
الأنبا أثناسيوس
١٧١٨ ش بمراهن
أسقف بي مزار والبهنسا
١٩ مارس ٢٠٠٢ م

مقدمة المؤلف

يقول العالم: "لا شيء يجري على ما يرام، لا شيء مفهوم، لا شيء يرتبط، الحياة لغز لا يحلُّ، وأن تحيا فهذا معناه أن تكون صحيحة للقدر المتقلب". ويجيب القديس بولس على هذه النظرة التشاؤمية ويقول: «إننا نعلم أن الله يعمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه».

هذه رسائل رجاء ملهمة ومشجعة مبنية على العدد ٢٨ من الأصحاب الثامن لرسالة بولس الرسول إلى أهل رومية.



الفصل الأول

في كل الأشياء

وضع فلاح على القاعدة السفلية لمرورته الهوائية الكلمات: «الله محبة»، فلحق به جاره الساخر وقال له: "هل إلهك على هذه الدرجة من التردد والتقلب حتى إنه يتغير مع الريح؟"

فأجابه الفلاح: "لا، إنني أضع عبارة: «الله محبة» على قاعدة المروحة الهوائية لأن الرياح لا يمكنها أن تجرفها معها في أي اتجاه تهب فيه، فإن: «الله محبة». إنه لا يتغير".

إنه من السهل أن تقول وأن تؤمن أن الله محبة عندما يكون كل شيء لك على ما يرام، عندما تهب رياح الرفاهية والسلام والصحة في طريقك، ولكنه أمر مختلف أن تؤمن بهذه الحقيقة عندما تعصف الرياح السيئة، المصائب والآلام، وتهب ضدك.

ولكن أيًّا كانت نوعية هذه الرياح التي تعصف بحياتك، فإنه يظل شيء واحد ثابتاً، إنه: «الله محبة» إنه يحبك عندما تكون جيداً، ويحبك عندما تكون رديئاً، وإن كان طبعاً لا يريده أن تستمر في أن تكون رديئاً. إنه قد أرسل ابنه ليخلصك من رداءتك، إنه يحبك حتى ولو بدا أنه بعيد منك، إنه يحبك عندما تكون كل الأمور على ما

عندما نفكّر في كل ما قاساه القديس بولس، فإننا نتصوّر أنه يقول: ”لا شيء يجري على ما يرام، لا شيء مفهوم، لا شيء متراّبط، الحياة لغير لا يُحل، الحياة جنون، وأن تعيش فهذا معناه أن تكون ضحية للقدر المتقلب“.

ومع ذلك فإن القديس بولس لم يقل إن الحياة هي حشو غبي لخيوط لا معن لها، بل يؤكّد على العكس: «إنا نعلم أن الله يعمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه».

لقد أدرك القديس بولس من الخبرة أن الله يستطيع أن يحول الشر إلى خير، وقد كان بولس نفسه مثلاً مضيئاً لذلك. ولذلك، فإنه قد وضع لنا هذه الطلبة منْ عُمق أعمق تجاريه.

شوكته في الجسد:

وعلى سبيل المثال فقد كان بولس يبكي شعوراً إلى الله بسبب هذه الشوكة في الجسد. إنَّه جسدياً أصيابه بشدة، وقد سأله الله أن تفارقه، ولكن الله قال: «لا يا بولس، إنْ نعمتي تكفيك، إنْ قوئي سوف تُكمِّل في ضعفك». ويمكننا أن نسمع بولس وكأنه يحيط: «إنَّ الله لم يتحقق طلبي ولكنه أجابني، إنه لم يجعل الحياة أسهل، ولكنه وهبني قوة كافية لاحتياجات الحياة، إنه لم يسمح أن تفارقني الشوكة التي كانت تؤلمني في جسدي، ولكنه أعايني كي أحيا

يرام، كما يحبك عندما تجري كل الأمور في الطريق الخاطئ. إن محنته لا تتغير أبداً مهما تغير اتجاه هبوب الريح.

إن القديس بولس عَبَر عن هذه الحقيقة في واحد من أعظم الأعداد التي كتبها: «إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ لِلْخَيْرِ لِأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ» (رو ٨: ٢٨).

لماذا نقتبس من القديس بولس؟

إننا نتعجب، كيف أنه من بين جميع الناس استطاع بولس هذا الذي قassi وتآلّم كثيراً أن يطالعنا بهذه الدعوة، أنصت إليه عندما يتكلّم عن آلامه:

+ «من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة،
ثلاث مرات ضربت بالعصى، مرّة رجحت، ثلاث مرات انكسّرت
في السفينة، ليلاً وهاراً قضيت في العمق (البحر)، بأسفار مراراً
كثيرة، بأخطر سيل، بأخطر لصوص، بأخطر من جنسي،
بأخطر من الأمم، بأخطر في المدينة، بأخطر في البرية، بأخطر في
البحر، بأخطر من إخوة كنده، في تعب وكد، في أسهار مراراً
كثيرة، في جوع وعطش، في أصومام مراراً كثيرة، في برد وعربي،
عدا ما هو دون ذلك، التراكم على كل يوم، الاهتمام بجميع
الكتائب» (٢٤ - ١١) (٢).

الله يعلم في كل الأشياء (ومن ضمنها السجن) للخير لأولئك
الذين يحبونه».

متضايقون في كل شيء:

لقد كان بولس مثل سيده، رجلاً مختبر الحزن، أصفع إليه وهو يتكلّم: «مكتشبين في كل شيء لكن غير متضايقين، متحيّرين لكن غير يائسين، مضطهدّين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين، حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضًا في جسادنا المائت» (٢٤: ٨ - ١١).

لم يجد بولس أدلة كثيرة للنصرة في حياته، بل كان في الغالب يُضرب، ويُسخر به، ويُعذب، وأنهى حياته وهو سجين لأجل المسيح، وكان يبدو أن طريق تقدّمه يهبط أكثر فأكثر، ولكنه كان يعرف أن الله يعمل بالحب في حياته: «إننا نعلم أن الله يعلم في كل الأشياء (ومن ضمنها الموت) للخير لأولئك الذين يحبونه».

أنتم قصدتم بي شرًا...

لقد عرف القديس بولس أن الأمور تجري في هذا الاتجاه، فإن إخوة يوسف الحاسدين باعوا أخاهم الصغير عبدًا، ولكن الله حول هذا الأمر إلى خير، واستخدم نفس الحدث لحياة شعبه واستبقاءهم.

بالشوكة، وأن يحوّلها إلى سبب قوي للنعمة. إنني أعلم منْ خبرتي الشخصية أن: «الله يعلم في كل الأشياء (ومن ضمنها الآلام الطبيعية) للخير لأولئك الذين يحبونه».

سجنه:

لم تكن الشوكة التي في الجسد هي العقبة الكؤود الوحيدة التي كان على بولس أن يحتملها، بل إنه قضى وقتاً طويلاً في السجن لأجل إيمانه. لقد أمضى الوقت وهو مقيّد مع صفوف من الحراس الرومان الذين كانوا يتناوبون الحراسة عليه بانتظام، ولكن أصفع إلى ما يقوله، كيف أن الله استخدم سجنه هذا للخير: «أريده أن تعلموا أيها الإخوة أن ما حدث لي قد آل حقًا أكثر إلى تقدّم الإنجيل، حتى إنّ — أول كل شيء — كانت ثُقفي وكأنما شاهد شخصي للمسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع، وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوُثقي يجترئون أكثر على التكلّم بالكلمة بلا حروف» (انظر: في ١٢: ١ - ١٤).

وبالإضافة إلى هذا، فإن الله قد سمح لبولس في سجنه أن يقضي وقته وهو في سكون في كتابة بعضٍ من أعظم رسائله: (الرسائل إلى أفسس وكولوسي وفيلي وفليمون)، فبدلاً من أن ينوح أو يتحسّر في سجنه، فإنه كان يفرح ويتهلّل ويقول: «إننا نعلم أن

إنه يوسف، ثانٍ رجل في المملكة في مصر، وهو الذي استطاع أن يقول يوماً ما لإخوته، ولو متأخراً: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ بِي شَرًّا، أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لَكُمْ يَفْعَلُ كَمَا — هُوَ حَادِثٌ — الْيَوْمُ، لَيَحْيِي شَعْبًا كَثِيرًا» (تك ٥٠: ٢٠).

يسوء على الجلسة:

ومع ذلك، فإن أعظم مثال لهذه الحقيقة نجده على الجلسة، هناك على الصليب أخذ يسوع على نفسه أسوأ شيء يمكن أن يحدث له، ألا وهو صلبه وموته، وحوّلها إلى أعظم شيء يمكن أن يوجد في الوجود، وهو الفداء والخلاص.

يقول القديس أغسطينوس: [إن الله يستخدم الناس الأشرار ليس حسب فسادهم وفسقهم، ولكن حسب صلاحه، لأنَّه هو الذي خلق هؤلاء الناس، وهو الذي يستطيع أن يحوّل الأعمال الشريرة إلى صالحة. إنه لا يمكننا أن نجد الكلمات التي تُعبّر بها عن الصلاح الذي نتج من خلال آلام المخلص ومن خلال دمه الكريم الذي سكبه لحو خطياناً، إلا أنَّ هذا الصلاح المائل قد أتى منْ خلال حقد وخبث الشيطان، الذي يحسد الإنسان والذي غرّ بيها] «إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ لِلْخَيْرِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ».

ولكن يلزم مع ذلك أن نعرفحقيقة أنه لا يمكن لحادثة ما أن تُقيِّم جيداً وعلى صواب يوم حدوثها. لقد بدا أنه يوم أغبر يوم أن يبع يوسف عبداً بواسطة إخوته القساة، ولكن بعدما جُمعت الأيام ووضُمت معاً، فإثنا قد تحولت إلى أفتر أيام حياته.

لقد كان يوماً رديئاً، يوم الجمعة الأسود في أورشليم عندما استهزيء بيسوع وصلب، ولو كنّا موجودين هناك لصرخنا بصوتٍ عالٍ: «مِنْ فَضْلِكَ يَا اللَّهُ، لَا تسمحُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا، لَا تسمحُ أَنْ يَمُوتَ الْبَارِ». أَمَّا الآن ونحن نستعيد الأيام الماضية ونتأملُ فيها، فإننا لن نجد حدثاً تم في الزمان مثل هذا الذي استعملت فيه محنة الله في أقوى صورة، وأُعيدت صياغة تسمية هذا اليوم الرديء إلى يوم الجمعة العظيمة. إنه لا يمكن لحادثة ما أن تُقيِّم جيداً يوم حدوثها، ولكن علينا أن نتشجع ونترك الأمور في يد الله ونشتَّرُ أن: «الله يَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ لِلْخَيْرِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ».

وجهتا نظر في الحياة:

لا يوجد أساساً إلا وجهتا نظر بخصوص الوجود البشري وهما: الأول وهو أن الإنسان إنما يكون جزءاً من عالم مادي وهذا هو كل شيء، وعليه فلا يوجد إلا يتعهد، إنه عالم مثل الغابة، القوي يفترس الضعيف، أمّا الوجه الآخر فهو أن الله يهتم بالعالم غاية

الاهتمام، ويرعى ويضبط كل شيء. لا يمكن أن يحدث لك شيء يتذر على الله أن يستخدمه لخيرك إن كنت تحبه وتعاون معه، ومن خلال أعظم انتصار عرفه هذا العالم ورآه — ألا وهو قيامة يسوع من الموت — فإنه كفل وضمن لنا تلك الغاية وال نهاية التي فيها يسود هو على الكل.

+ «إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ لِلْخَيْرِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُونَ حَسْبَ قَصْدَهُ... فَمَاذَا نَقُولُ هَذَا، إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعْنَا فَمَنْ عَلَيْنَا؟ الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى أَبْنَاهُ بِلْ بِذَلِكَ لِأَجْلَنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهْبِنَا مَعْهُ كُلُّ شَيْءٍ؟... فَإِنِّي مُتَيقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قَوَّاتَ وَلَا أَمْوَارَ حاضِرَةَ وَلَا مُسْتَقْبَلَةَ وَلَا عِلْمَ وَلَا عَمَقَ وَلَا خَلِيقَةَ أَخْرَى تَقْدِيرُ أَنْ تَفَضَّلَنَا عَنْ مَحْبَةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رو ۸: ۲۸ و ۳۱ و ۳۸ و ۳۹).



الفصل الثاني

نَعْلَمُ

توجد أسطورة في مكان ما فحواها أن الشيطان دعا الأرواح الشريرة التي تتبعه إلى مداولات للتشاور في حرب، وكان هناك عمل هام جدًا يلزم مناقشته، وكان مضمونه أنه يلزم تحرير أفضل طريقة يمكن استخدامها لغزو روح الإنسان، وقدّمت عدّة اقتراحات، فاقتصر أحد الأرواح قائلاً: دعنا نأتي بحرب أو مجاعة أو وباً أو فقر، وبهذا ندفع الناس إلى اليأس. وقال آخر: دعنا نفتقد الأرض بعوبيّة قاسية عن طريق طاغية شرير مُستبد فيصطهد الناس بلا رحمة. ولكن الشيطان رفض جميع هذه الخطط لأنّه كان يعرف أن الله يمكنه أن يتغلب على جميع هذه الشرور بالصلاح. وأنهياً هض روح شرير متّقد الذكاء وقدّم أعظم خطة وحشية تفوق الخطط السابقة كلّها فقال: ”دُعَا نُرْسِلُ الشَّكَّ وَالشَّيْطَنَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ حَتَّى لَا يُصْدِقُوا بَعْدَ قُوَّةِ اللَّهِ الَّتِي تَفُوقُ الْكُلَّ، وَعَنْدَئِذٍ إِنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَغْلِبُهُمْ بِسَهْلَةٍ“، فأقرَّ الشيطان هذه الخطة للتّوّ، وأخذ في استعمالها إلى الآن بنجاح شامل.

حسناً، قد تكون هذه مجرد أسطورة، ولكنها تحوي كثيراً من الحقيقة داخلها، لأن الكثرين مِنْ إيمانه صغير جداً فلا يقدر أن ينظر

الثقة بالله وسط الظلام:

يكتب إي إس جونس E.S. Jones ويقول: "يوماً من الأيام قد يكون مظلماً، وقد تجد نفسك داخل نفق، ماذا تعمل عندما تجد نفسك داخل نفق للسكك الحديدية ويزداد ظلاماً؟ هل ترمي تذكرتك وتتفز؟ أم أنك تثق في السائق وتمسك بتذكرتك؟" إننا نمسك طبعاً جيداً بتذكرتنا، لأننا نعلم جيداً أن مهندس القطار ليس هو إلا أبانا السماوي الذي يحبنا. إنه يتعهدنا، وهو سوف يقودنا من خلال أنفاق مظلمة متعددة في الحياة، وأخيراً وفي النهاية يقودنا إلى نفق أكثر إظلاماً من الكل، ألا وهو الموت، ولكنه سوف يقودنا من خلال هذا النفق إلى ضياء رائع بارع، فوق ما نتصور أو نرى أو نسمع أو نتخيل.

شلّم إيمانه للمسيح

توجد آلاف من الأشياء يمكن أن تحدث لنا في هذا العالم، والنفس أشياء ليست بحسب إرادة الله، ولكن لا يمكن أن يحدث شيء لنا دون أن أنه يمكن الله أن يمسك به ويستخدمه لمنفعتنا وخيرنا إذا ما أحيبنا الله. إننا لا نظن أو نأمل ولكن كما يقول بولس الرسول: «إننا نعلم...». بولس هب

المجد لله في كل الأشياء:

كان شعار القديس يوحنا ذهبي الفم في الحياة هو: "المجد لله في كل الأشياء". لما كان القديس يوحنا في أنطاكية فإنه كان

الشكل الذي يعمل به الله للخير والصلاح في جميع الأشياء ومن بينها الشر. لقد صار من الأسهل لنا أن نؤمن ونعتقد أن الشيطان هو الذي يضبط الأمور ويتحكم فيها أكثر من الله.

لـ **كلمة: "ربما":**

هذا مما يجعلني أحب الإيمان الراسخ الذي يتكلّم به القديس بولس عندما يقول: «إننا نعلم أن الله يعمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه». إنه لا يقول: "إننا نرجو أو نظن"، وهو لا يستعمل كلمة: "ربما" أو "تفكير"، ولكنه يقول: «إننا نعلم». وبكلمات أخرى: إن لنا يقين الثقة الكاملة. إننا مطمئنون تماماً ومقيتون تماماً، إننا مؤمنون تماماً أنه هو الله وليس الشيطان أو الصدف هو الذي يضبط الحياة. إننا نتفق مع إينشتين Einstein عندما قال مرّة: "إنني لا أظن أن الله يلعب بالزهر مع العالم". لا نؤمن بيسوع الذي أكد لنا وطمأننا أن جميع شعور رؤوسنا مخصّصة ومعروفة لدى الله! إن خطوط حياتنا قد يعرّيها الانحناء والالتواء، ولكن كما يقول مثل ما: "إن الله يكتب مستقيماً بالخطوط الملتوية". إنه يمكنه أن يأتي بالخير من الأحداث المتردية في حياتنا إن كنا نحبه ونتعاون معه، لدرجة أنه استخدم خطية آدم ليجلب أعظم فداء عرفه العالم على الإطلاق، هذا الذي دعا أغسطسینوس أن يقول: [يا للخطأ السعيد الذي هيأ لنا هذا الفداء العظيم].

- ان تُقْرَأْ ذُفَرُ الْبَيْنِ اَنْ يَعْمَلَ الْبَهْرَهْ فِي
اَهْلَهْ وَالْأَلْهَمُ الْوَرَقَاتِ

مشهوراً جدًا، وكان يصغي إلى تعاليمه عدد يربو على عشرة آلاف، ولكن لما ذهب إلى القدسية، فإن الإمبراطورة انقلبت عليه لأنه كان يعلم الحق، واقتيد إلى المنفى، وعندما جرَّ الجنود وسط الجليل الشتوي حتى بلغ حال الموت، فإن كلماته الأخيرة كانت: "المجد لله في كل الأشياء". لقد علم تماماً مثل القديس بولس، وكان مقتعمًا تماماً أن «في كل الأشياء (ومن ضمنها النفي والموت) يَعْمَلُ اللَّهُ لِلْخَيْرِ لِأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ».

لا تقلق، فقد لا يحدث أبداً:

تروى قصة عن امرأة عجوز كانت تعيش في لندن أثناء الحرب العالمية الثانية بينما كانت لندن تتعرض لقصف متواصل من النازي. لقد كانت هذه المرأة قوية، متدينة جدًا، ومثابرة إلى أقصى حد، وكانت تعيش بمفردها. لاحظ صديق لها أنها تحفظ بـ "لوحة" مكتوب عليها الشعار: "لا تقلق، قد لا يحدث أبداً". لقد كان هذا الصديق متأثراً جدًا ومتعزياً بهذه العبارة، وكان يحدث المرأة العجوز بخصوصها، ولكن حدث في ليلة ما لم يكن في الحسبان، لقد سقطت قنبلة على الجانب الأيمن لمنزلها وحطمت جميع النوافذ وأسقطت جميع ما تملكته من الصيني من على الأرفف وسط صوت التحطيم المدوي، وعصفت ونسفت جميع البياض

وفكه من على الجدران والأسقف، وملاط المكان بالتراب وكسر الحجارة، أسرع الصديق إليها ليرى حالتها، فوجدها تكنس المكان بجد شديد، بينما الشعار لا زال معلقاً على الحائط: "لا تقلق، قد لا يحدث أبداً".

سألها الصديق: "وماذا نستفيد الآن من شعارك هذا؟" ففسرَّت له الأمر وهي تصيح وتقول: "يا للسماء! لقد نسيت أن أدير اليافطة إلى الجهة الأخرى"، ولما أدارتها كان مكتوبًا على الجهة الأخرى: "يمكنا أن نستعيده".

"لا تقلق، فقد لا يحدث أبداً"، ولكن إن حدث: "يمكنا أن نستعيده"، لأننا مثل بولس الرسول: «نعلم أن الله يَعْمَلُ فِي كُلِّ الأَشْيَايِّ لِلْخَيْرِ لِأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ».

صلوة

[ربنا العزيز، يمكنا أن نستعيدها فقط لأنك فيها معنا، تأخذ خطوط حياتنا الملتوية وستعيدها وستستخدمها لترسم خطوطاً مستقيمة. ساعدنا دائمًا أن نحبك وأن نُخضع حياتنا لمشيتك، لأنه عندئذ فقط يمكنا أن تعمل معنا لخيرنا في كل الأشياء. آمين].

الفصل الثالث

ليس في بعض

وإنما في كل الأشياء

قصٌّ لي أحد الطهاء — الأسبوع الماضي — أن من أفضل الأطعمة هو ما يُعمل من المخلفات المتبقية. يقول شخص إنه بين كل فترة وفترة فإنه ينقب في الثلاجة بحثاً عن بعض الأشياء المتبقية والمخلفات، فرخة متجمدة أو عظم مشوي، بصلة أو بصلتين، جزرتين، قليل من البقدونس الطازج وقليل من الملح والتوابل، وبعد ذلك فإنه يأخذ هذه الأشياء التي لا طعم لها، وهي الخلطة غير المحببة والتي لا تثير شهية طعام، ويضع عليها ماءً عاديًّا، وبعد أن يُعطى الإناء، فإنه يتركها على النار ويتناولها. يقول هذا الشخص إنه بعد ساعات قليلة فإنَّ الله يحوّل المحتويات داخل القدر والتي لم يكن لها نفع، يُحوّلها إلى شوربة رائعة المذاق، إن هذه الشوربة المغذية هي برهان عجيب ومدهش على قدرة الله في أن يأخذ الأشياء العاديَّة، بل وبالأحرى التي لا مذاق لمحتوها ويعودها إلى شيء رائع.

كيف يعمل الله هذا؟ لن نفهم أبداً، ولكن نعرف أن نفس هذا الإله يمكنه أن يأخذ هذه القطع والأجزاء الصغيرة في حياتنا، التي

لا قيمة لها ولا تعني شيئاً بالنسبة لنا، ويصنع منها شيئاً جميلاً لائقاً بمجدِه وبملكته، ولكن يجب أن تكون راغبين في أن نضع أنفسنا بين يديه ونتضرُّ.

في كل الأشياء:

+ «إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَايِّ لِلْخَيْرِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ...».

لقد رَكَّزْنا حديثنا في الفصل السابق على الكلمات: «إِنَّا نَعْلَمُ»، والآن سوف نركِّز الكلام على الثلاث كلمات: «فِي كُلِّ الْأَشْيَايِّ». إنَّ اللَّهَ قادرٌ أن يستخدم «كلِّ الأشياء»، جميع خبرات الحياة، يوجّهها نحو الخير، ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ القديس بولس يقول إنَّ جميع الأشياء التي تحدث إِنَّما هي برغبة اللَّه أو إرادته، ولكنه يقول بالأحرى إنَّ اللَّه يُمْكِنُ أنْ يُوجَدُ في كلِّ شيء يحدث لأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ، وإنَّ يُمْكِنُهُ أن يستخدم تلك الاختبارات لتقوُّدنا إلى اكتشافات غير متوقَّعة.

لاحظ عبارة بولس القاطعة، إنه لا يقول: «إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ فِي بَعْضِ الْأَشْيَايِّ»، ولا «فِي أَغْلِبِ الْأَشْيَايِّ»، ولا «فِي الْأَشْيَايِّ الْمَبْهَجَةِ»، ولكن «فِي كُلِّ الْأَشْيَايِّ». إنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ في الأشياء الصغيرة كما في الخطيرة، ويستخدم أَحْقَرَ الأشياء في الحياة اليومية كما

أن نقول: ”السُّبْحَانَ لِلَّهِ“، كذلك عندما نحصل على ترقية في العمل أو يكون الأولاد والبنات بصحة جيدة وأقوياء، فلن تكون هناك صعوبة بعikan لنشكر الله على عطياته العظيمة هذه. ولكن (رومية ٨: ٢٨) تتكلّم عن الله الذي يعمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه. عندما تقرأ الأصحاح الثامن كله، فإنك سوف ترى القديس بولس وهو يذكر بعضاً من هذه الـ «كل الأشياء» التي يتتكلّم عنها إنما تتضمّن بعض الأشياء الرديئة مثل: ”شَدَّةٌ... اضطهاد... جوع... عري... خطر... سيف“ (رو ٨: ٣٥)، ولكنه يستمر ليقول: »ولكننا في هذه كلها يعظم انتصارنا بالله أحبنا« (رو ٨: ٣٧).

مثل أجزاء عابرات المحيطات:



إننا نعلم أن أشياء كثيرة مما يحدث لنا ليست صالحة. وإنما رديئة وغير مُسِرَّة، فمثلاً إن الأجزاء التي ترتكب منها الباخرة عابرة المحيطات إذا أخذَ كل منها على حدة فإنه يغرق؛ الماكينة التي تدير الباخرة تغرق، الرفّاص (الدافع) الذي فيها بمفرده يغرق، ولكن عندما تتأزر أجزاء تلك الباخرة العظيمة وتقرن معًا جيداً، كل في مكانه المضبوط، فإنها تطفو.

يستخدم أيضاً ساعات الأزمات الشديدة، وفي كل الأشياء يعمل الله للخير لأولئك الذين يحبونه.

لماذا تحدث أشياء رديئة لأشخاص صالحين؟

هل تقصد أن الله يمكنه أن يستخدم للخير كل الأشياء حتى الأشياء الرديئة التي تحدث لنا؟ نعم! الأشياء الرديئة إنما تحدث أيضاً حتى لأولئك المدعىين ”صالحين“، مع أنه بالنسبة لنا كمسحيين، فإنه ليس أحد صالحًا إلَّا الله وحده. في الحقيقة من الممكن أن تحدث أشياء رديئة لأناس ”صالحين“، ولكن بالنسبة لأولئك الذين يحبون الله، فإن الله نفسه سوف يكون عاملاً في تلك الأشياء الرديئة حتى تعمل في النهاية للخير.

في كل الأشياء نحن أعظم من منتصرين:

»إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ لِلْخَيْرِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ...«.

إن هذه الآية تُرْعِجُ وتنقِّلُ بعض الناس لأنها مقوله بصورة مطلقة، إنما تحوي عبارة »في كل الأشياء«. طبعاً لا يعترينا أي مشكلة من جهة الاعتراف باهتمام الله وعنايته عندما تحدث لنا أمور صالحة. فمثلاً عندما يدخل الطبيب إلى الحجرة وعلى وجهه ابتسامة هادئة ويقول: ”أخبار سارة، الورم ليس خبيشاً“، يصبح من السهل

مفاجئاً. الألم عندما ينتابنا ليس هو مصادفة أو حادثاً مفاجئاً. المعاناة عندما تعبر بنا، ليست هي مصادفة أو حادثاً مفاجئاً. إن هذه الأشياء إنما هي جزء من «كل الأشياء» التي يستخدمها الله ليصوغنا ويشكّلنا. وعن هذا كتب أحد الأشخاص — بعد أن نما ونضج من خلال الألم — فقال:

”إن الألم يعلمنا أن نكون أكثر تعاطفاً وفهمًا للآخرين. إننا لن نعرف معنى الألم إلى أن نختبره. إن جميع الآلام تعمقنا وتُوسّعنا إن سمحنا لها بذلك. إن الاختبارات غير السارة التي تصادفنا في الحياة إنما تُكمل هدفاً ومقصداً. من خلال الألم نحن نتقوّى ونتعلم أن نقف بمفردنا مع الله. أحياناً يستولي علينا الألم والعناء قبل أن نُسلّم حياتنا لله، ونطّيعه ونتبعه كما يريد أن يقودنا. إن صلاتي الوحيدة هي في أن أعرف إرادة السيد وأطيعه كما يشاء الروح القدس أن يقودني، لقد تعلّمتُ من خلال هذا الحزن أن أضع (الأشياء الأولى أولاً)، ولقد شعرتُ بالبركة تملأني بما لا يمكن للكلمات أن تُعبّر عنه“.

قال شخصٌ ما ذات مرة: ”لا حزن يُزعج أولاد الله، عندما يعلمون السبب الذي لأجله يُرسل لهم الله الألم“.

حتى الموت؟

وهل تقصد أن الله يقدر أن يستخدم كل الأشياء للخير بما في ذلك الموت؟ أقول لك: نعم! حتى الموت. قال شخص بعد أن أبلغ

هكذا الأمر بالنسبة للحياة لأولئك الذين يحبون الله. إننا إذا أخذنا الأحداث التي نختار فيها، كُلّ منها على حدة، فقد تبدو مرعبة وتصيبنا بنوبة في القلب وتجعل علينا الحزن، ولكن الله مع ذلك يمكنه أن يجمع محصلة خيرات الحياة كلها، ويصلّقها ويبيتها معاً بمادة حبته وحكمته، لتنتاج لنا شيئاً صالحًا. فلماذا إذا تحدث بعض الأشياء الرديئة لأناس ”صالحين“؟ لأن الله يمكنه أن يستخدم حتى الأشياء الرديئة لصالحنا ولخيرنا.

حتى الألم؟

هل تقصد أن الله يقدر أن يستخدم كل الأشياء للخير بما في ذلك الألم؟ نعم، أقصد ذلك، حتى الألم! إن الله لا يُحبّينا الألم لأنه يقصد أن يساعدنا في أن نبلغ هدفنا ومساعانا في الحياة. إن الله يستخدم كل ما تتضمّنه الحياة بما في ذلك الألم ليُساعدنا لكي تنمو شخصياتنا وصفاتنا.

بعد أن فقدت امرأة محبوها صرخت: ”آه، تَنَبَّئْتُ لو لم أكن قد خُلِقتُ أو شُكِّلت“، فأجابها صديق حكيم: ”نعم، أنتِ لم تُشكِّلِي بعد، إنك تُشكِّلين باستمرار، إن ما حدث هو جزءٌ هو عملية التشكيل“.

إن الحزن عندما يحدث لنا، لا يكون مصادفة أو حادثاً

أنه مريض بورم خبيث: "إنك لن تبدأ الحياة إلى أن تعرف أنك سوف تموت!"

حتى الفشل؟

وهل تقصد أن الله يقدر أن يستخدم كل الأشياء للخير بما في ذلك الفشل؟ أقول لك: نعم! حتى الفشل. إن أعظم الدروس التي نتعلّمها في الحياة إنما هي عن طريق الفشل. إن شارل كولسون Charles Colson مساعد الرئيس السابق لأمريكا والذائع الصيت قال: "إن أعظم ميراث حقيقي نلته في حياتي هو أعظم الفشل عندما حُكم عليًّا بالأشغال الشاقة. إن أعظم تحقيير وإذلال لي عندما أُرسلت إلى السجن، كان هو بدأة استخدام الله العظيم لحياتي، كما استخدم الله الاختبار نفسه الذي لم أكن أستطيع أن أجده فيه — لتجيده!" أليس هذا هو نفس الفكر الذي عبرَ عنه سолжينيتسين Solzhenitsyn عندما قال: "مبارك أيها السجن، لأنك كنت حياتي". أوَ لم يتعلم بولس الرسول دروسه العظيمة من خلال الفشل والأمور المعاكسة؟ اسمعه يقول:

+ «إِنَّا لَا نَرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيْهَا الْإِخْرَاجَةَ مِنْ جَهَةِ ضَيْقَتُنَا الَّتِي أَصَابَتْنَا فِي أَسْيَاءِ أَنَا تَقْلِلُنَا جَدًا فَوْقَ الطَّاقَةِ حَتَّى أَيْسَنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَيْضًا، لَكِنَّ كَانَ لَنَا فِي أَنفُسِنَا حُكْمُ الْمَوْتِ لَكِي لَا نَكُونَ مَتَّكِلِينَ

على أنفسنا بل على الله» (كو ٢٦: ٩٨).

وإذا ابتدأنا حديثاً في هذا الفصل بوصفه لعمل الشوربة، فإننا

نختمه بوصفه لعمل الكعكة، فيقول فانس هافر Vance Havner في هذا: "لما كنت صبياً كنت أستمتع بالتعلق إلى والدي وهي تجهز لنا الفطائر أو الكعك، فعندما كانت تجمع كل الأشياء التي تعمل منها الكعكة، فإنه لم يكن شيء منها بمفرده فاتحاً للشهية، فمن مئا يطيق أن يأكل دقيقاً أو خميرة العجين؟ ولكن بعد أن تخلط كل الأشياء بالنسبة الصحيحة ثم تضعها في الفرن، فإننا كنا ننتظر بفرح وبفارغ الصبر ما سوف يتبع من هذه الخلطة! هكذا الأحداث التي نعيشه في حياتنا قد تكون بمفردها غير مبهجة، ولكن عندما يستكمل الله الوصفة ويضعها لتتضاعج، فإنه يتبع منها كعكة (رو ٨: ٢٨) وبحد الطعام جيداً جداً، مع أن مكوناتها بمفردها كانت أحياناً تجعلنا نبكي..."

عندما نقف أمام كرسي الله، فإن جميع الألغاز والأحجيات التي حيرتنا وأربكتنا هنا، سوف تنكشف وتسقط هناك، وسوف نعلم بالكمال ما نعرفه الآن بالإيمان، أن كل الأشياء عملت معاً للخير لأجل القصد الإلهي الأبدي، والصرخة التي كانت تدوي: "يا إلهي لماذا؟" سوف تصير «هليليويا»، وجميع علامات الاستفهام سوف تتحول إلى علامات تعجب، والحزن يتحول إلى ترنيم، والألم سوف يُبتلع إلى حمد وتسبيح".

الفصل هو في الكلمات: «الله يعمل»، أي أن «الله ي عمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه»، وهذه حقيقة هي ترجمة أفضل وأكثر دقةً لليونانية عن الترجمة الشائعة: «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبونه». إن كل الأشياء لا تعمل تلقائياً أو بطريقة مبهمة للخير لأولئك الذين يحبون الله. إنما الله هو العامل وراء كل هذه. إنه هو الذي يحرسها ويحافظ عليها ويضبطها حتى تعمل كل الأشياء لخيرنا، وبدونه لن يحدث ذلك.

ليس من يقدر أن يهزمه:

إن الله هو الذي «يعمل للخير»، وكل شيء في الكون هو تحت ضبطه. إنه بهذه الدرجة من القوة حتى إنه يستخلص الخير من الشر. لم يحدث أنه غالب، لا يمكن لشيء يحدث أن يهزمه. ليس شيء يُسمح له أن يحدث ويُبطل في النهاية خططه. لا يمكن لحدث شرير أن يهرب من قوته. إنه يجعل الأشياء تذهب فقط إلى غايتها المقصودة، وفي حياة أولئك الذين يحبونه، فإنه يأخذ الشيء الشرير نفسه الذي يؤذيهم ويحوّله إلى بركة، لكل من المتأملين وللآخرين. ومثل حيد لذلك هو بولس الرسول نفسه. لقد ختم حياته وهو مسجون لأجل المسيح. لقد بدا أن تقدّم مجرى حياته كرسنور يهبط ويغيب حتى قُتل في النهاية لأجل إيمانه، أمّا بولس فقد علم أنه

الفصل الرابع

الله ي العمل

سأل شخصٌ ما رجلاً قدِيساً عن سبب ظهور الله وتكلُّمه مع موسى داخل العلية المشتعلة، فأجابه، «إن الله تكلَّم من العلية ليعلمنا أنه لا يوجد مكان لا يوجد فيه الله، حتى لو كان علية شوك...».

دعنا نتذكر أنه من خلال الشوكة التي في الجسد اكتشف بولس كفاية نعمة الله (كو ١٢: ٩-٧)

+ قال مسيحي تقي بعد مرض خطير ألم به: «لقد تعلمتُ أكثر عن الله منذ أن أصبتُ بهذا المرض، أكثر جدًا مما تعلّمته خلال حياتي الماضية كلها».

إن الله يستمر في حديثه لأولئك الذين ينتصرون كما فعل موسى، حتى وأحياناً من خلال أشواك علية الحياة.

الله هو العامل:

لقد وصلنا في مناقشتنا في الفصل الثالث إلى أن مفتاح الفصل كان في الكلمات: «في كل الأشياء»، وفي هذا الفصل نجد أن مفتاح

يهدف من هذا ليرفعني؟ سوف تتأكد أنه يرفعك لخيرك ولخیر الآخرين.

حرب أحياناً ما يحدث مع الكلب الذي تملكه: أشر بأصبعك إلى موضع ما. إن الكلب لن ينظر إلى الموضع الذي تشير إليه، ولكنه سوف ينظر إلى أصبعك، وإن كان كلباً عادياً فربما يغضُّ أصبعك. إن الله يشير دائماً بأصبعه إلى شيء جيد لمنفعتنا، ولكننا في الغالب ننظر إلى الأصبع دون أن ننظر إلى الشيء الذي يريد أن يشد انتباها إلينا. إننا لن نفهم، وأحياناً نريد أن ننهشه!

النَّحْلَةُ فِي الْفَنَّ:

إن ما قلناه سابقاً يشبه نحلة طير في حجرة دخلتها من خلال شباك مفتوح، ثم تأخذ في الطين هنا وهناك وهي في غاية الاتساع تحاول أن تجد لها منفذًا للخروج. إنها تدفع جسمها الصغير بعنف في زجاج الشباك. أنت تأخذ فوطة وتحاول أن تقود النحلة نحو شباك مفتوح، ولكن النحلة تعتبرك عدواً وتقذف نفسها بعنف ضد الفوطة، وأخيراً فإنك تعمل معها مناورة لتدفعها تجاه الشباك المفتوح، وفجأة تجد النحلة نفسها مرأة أخرى تندفع كالسهم إلى الفراغ الخارجي نحو الحرية.

قد يكون الله أحياناً مثل هذا الرجل الذي في يده الفوطة ونكون

لم يكن يحيا في فراغ، إنما علِم أن الله يعمل في حياته. لقد سلم حياته إلى يسوع كرب، وعاش في إيمان ابن الله الذي أحبه وأسلم ذاته لأجله، فلا شيء استطاع أن يُعطل مهمته، مهما ضرب أو تمزق إبان حياته. إن بولس لم يفقد الرؤيا أبداً عن حقيقة أن محبة الله كانت تعمل في حياته لتعده إلى الانتصار الأخير. أصفع له وهو يتكلم في (٢٤: ٨ - ١٠) ويقول:

+ «مَكْتَشِّبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَكُنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ، مُتَحِّرِّيْنَ لَكُنْ غَيْرَ يَائِسِينَ، مُضْطَهَدِينَ لَكُنْ غَيْرَ مُتَرَوِّكِينَ، مَطْرُوحِينَ لَكُنْ غَيْرَ هَالَّكِينَ، حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلِّهِ إِمَانَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ لَكُنْ ظَهَرَ حَيَاةً يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا».

إِلَى مَاذا يرْفَعُنَا؟

عندما يحدث شيء رديء لنا، فإن رد فعل غالبيتنا يكون هذا السؤال: "ماذا فعلت حتى أستحق هذا؟"؟ ولكن ليس أحد مَنْ يسأل: "ماذا يحاول الرب أن يعلّماني؟ ماذا يحاول الرب أن يصنع بي؟ ماذا يحاول الرب أن يعمل معي من خلال هذه التجربة التي حدثت لي؟". إن كان ما يقوله بولس صحيحاً، أي أن الله يعمل من خلال كل الأشياء التي تجري في حياتي، فإني في حاجة شديدة أن أطرح على نفسي هذا السؤال: إن كان الله يعمل في حياتي الآن بالصواب، فماذا

رئيس النساجين:

عديد من الأبسطة والسجاجيد والبطاطين الشرقية الرائعة والأنيقة التي تملأ العالم إنما تأتي من قرى صغيرة في الشرق الأوسط. إن كل واحدة من هذه يعملها طاقم من العمال والأولاد تحت إشراف رئيس النساجين. يقف النساج على جانب من السجادة من حيث يمكنه أن يُبصر الخطة والتصميم، بينما يقف العمال من الجهة الخلفية من حيث لا يمكنهم أن يروا التصميم يتتطور ويظهر، ولكنهم ينظرون فقط كتلة من الخيوط الملونة الغشيمية تجري هنا وهناك. قد يحدث خطأ، ولكن البساط لا يُبَدِّل كشيء غير نافع، وكذلك فإن الجزء الذي به الخطأ لا يعاد إصلاحه، لكن على العكس فإن الرئيس يخطئ شكلًا أو رسماً آخر حول التلف أو الخطأ، والذي قد يحدث بعد ذلك أن يكون أروع وأجمل من التصميم الأول.

هكذا نحن في هذه الحياة نقف من خلف السجادة، لا يمكننا أن نرى التصميم الجميل الذي يعمله — الله — رئيس النساجين في حياتنا، لأننا نعمل في موقع لا يمكننا أن نرى منها إلا جزءاً صغيراً من الخطة أو الغرض أو الهدف في الحياة البشرية، ومع ذلك فإن الفنان الأعظم ينسج الكل في خطة هادفة ذات معنى، وفي نهاية اليوم، فإنه سوف يأخذنا إلى نقطة نقدر منها أن نرى كل ما عمله

نحن كالحلاة، نقاوم الفوطة ونحبسها عدواً، ونظل مقاوم دفاعاته الحانية الوديعة التي تبغي أن تقودنا إلى الحرية والملء.

بحسب الطريقة التي تنظر إليها:

دعني أشاركك هذه القصة التي كتبها فولتون أورسلر Fulton Oursler:

استدعت امرأة ذاهلة تقيم في فندق برستون المدير وقالت له: "إنني دائحة ويکاد يُغمى عليّ، إن جسمي كله يرتعش بسبب الشخص الذي في الحجرة المجاورة الذي يضرب بعنف طول اليوم على البيانو، إن لم توقفه في الحال فإني سوف أهار وسوف تكون أنت مسؤولاً عن ذلك".

أجابها مدير الفندق: "إنني أرغب في مساعدتك أيتها السيدة ولكني لا أستطيع ذلك. إن هذا الذي يعزف إنما يتدرّب ويعمل بروفة لحفلته الموسيقية الباهرة غداً في قاعة الموسيقى، إنه الموسقيار الشهير بادرفسكي Paderewski". قالت المرأة بسرعة بصوتٍ متتش: "حقاً! إذاً الأمر مختلف!"

وللوقت دعت المرأة الأصدقاء ليأتوا ويستمعوا لها.

هذا يُذكّرنا بما قاله يعقوب بعد أن استيقظ من حلمه:

+ «حقاً إن الله في هذا المكان وأننا لم أعلم» (تك ٢٨: ١٦).

باليخيوط الناقصة التي لآلامنا وإحباطاتنا.

«إننا نعلم أن الله يعمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه...»

إن كنت تحبه، فاطمئن وتأكد من شيء واحد: الله ي العمل في حياتك، ولن تكون أنت وحدك الذي يعمل، سوف ي العمل الله معك في توافق وانسجام، في مشاركة خاصة، سوف يأخذ كل الأشياء وهي متضمنة أحزانك وألمك وينسجها إلى تحفة بارعة سوف تتعجب عندما تنظرها يوماً من خلال رؤية سماوية صافية.

صلادة

أيها السيد رب، زد حبنا وإيماننا ونحن نحضر
خيوط حياتنا المكسورة إليك، يا رئيس
النساجين، حتى تضعها معنا، لشخرج لنا منها
حياة لها معنى وخطة، حياة تمجّدك، أيها
الآب والابن والروح القدس. آمين!»



الفصل السادس

للحَيْرِ

الله ي العمل في كل الأشياء للخير. ما هو هذا الخير الذي ي العمل
الله لأجله؟
خلال الأزمنة والقرون، يبحث الناس لعلهم يكتشفون الخير
الأعظم، ما هو أسمى هدف في الحياة؟ إن هذا هو البحث الأساسي
في الفلسفة الأخلاقية. لقد حاول وجداً في البحث الأيقوريون
والرواقيون والأفلاطونيون والأرسطو طاليون آخرون كثيرون
لإجابة هذا السؤال.

وليس الفلاسفة فقط، بل وكل واحد منا لا زال يبحث
باستمرار، وهو مدرك أو غير مدرك عن إجابة هذا السؤال: «ما هو
الخير الأعظم في الحياة؟» وعندما نجد الإجابة، فإننا لن نتردد في
تكرис حياتنا، حياتنا كلها، لأي شيء نعتبره هو الخير الأعظم.

ما هو الخير الأعظم؟

لو سألت طفلاً، ما هو الخير الأعظم؟ لأجابك: إنه اللعب
بالدمى. وإن سألت شخصاً جائعاً، فسوف يجيب: الأكل. وإن
سألت رجلاً فقيراً، لأجابك: المال. وإن سألت مريضاً، لأجابك:

”يوجد ألم شديد في داخلي، إنه ثقيل ويحيط بي من كل جهة“، فأحابت المخارة الأخرى برضى مغلّف بالكرياء وقالت: ”شكراً للسماء والبحر لأنني لا أتألم من شيء“، إنني صحيحة وسليمة من الداخل ومن الخارج، فتصادف في تلك اللحظة أن مررت كابوريا وسمعت حديث المخارتين، فقالت للمخارة التي في حالة حسنة من الداخل ومن الخارج: حقاً أنت في حالة جيدة من الخارج ومن الداخل، ولكن الألم الذي تحمله زميلتك إنما هو جوهرة فائقة الجمال“.

إن كانت الصحة هي الخير الأعظم، فبناء على ذلك يكون الألم شرّاً عظيماً، فهل الأمر هكذا؟ أما يستخدم الله المرض لأغراض وخطط ومقاصد في حياة أولئك الذين يحبونه؟ ألا يستخدمه حقاً ليُنْتَج: ”جواهر ثمينة فائقة الجمال؟“ فكيف تكون إذن الصحة هي الخير الأعظم؟

هل هي السعادة؟

هناك من يشعرون أن السعادة هي الصلاح الأعظم في الحياة، إلا أنه مع ذلك، فإن أولئك الذين هدفهم الوحيد في الحياة هو أن يُسعِدوا أنفسهم، هم في المعتاد الأكثر أناانية، والمتمرّكزون حول ذواتهم والأكثر تعاسة في الحياة. إن يسوع قد علّم أنه توجد

الصحة. وإن سألت أمّا، ابنها في الحرب، فسوف تكون إجابتها: عودته بالسلام إلى دياره. بناء على ما سبق، يبقى السؤال، ما هو الخير الأعظم؟

هل هو الصحة؟

يوجد من يقولون: إن الخير الأعظم في الحياة هو الصحة، حتى إننا نسمع الناس يقولون: ”إن فقدت صحتك فقد فقدت كل شيء“، وإن كنت في صحة جيدة فأنت تملك كل شيء“. لا شك حقاً أن الصحة هي عطية جيدة وعظيمة، ونحن لأجلها نشكر الله على فضله، ولكن هل هذا يعني أننا إذا ابْتُلِينا بمرضٍ لا يبقى لنا سبب نشكر الله عليه؟ إن الأمر صعب! إن القوة على احتمال المرض بشجاعة وبشكر إنما هي عطية عظيمة أيضاً، وهي تأتي من قلب يثق في الله ويطمئن إليه.

إن الصحة هي عطية من الله يلزم أن نستخدمها لتمجيده، ولكنها ليست هي غاية الحياة العظمى، الخير الأعظم، لأنه إذا ما وهنت الصحة، فإننا نكون لا نزال نحظى بمعونة نفس الإله الذي يعطينا الصحة. إنه لا يتركنا أبداً ولا يتخلّى عنّا، إنه يقدر أن يستخدم كلاً الصحة والمرض لخيرنا النهائي. يحكى ”جران خليل جران“ قصة مخارة كانت تتكلّم مع مخارة تجاورها وتقول لها:

هل هو الحياة؟

يوجد من يعيش بالمثل المأثور أن الحياة هي الخير الأعظم؟ والقيمة الفائقة للوجود، فيكون كل ما يطيل الحياة هو الخير وكل ما ينقصها ويؤديها إلى الموت هو الشر، ولكن بالنسبة للمسيحي، فإن القيمة الفائقة والخير الأعظم ليس هو الحياة التي نشترك فيها مع الحيوانات، أي الحياة البيولوجية The Bios، ولكن هي الحياة التي نشترك فيها مع الله The Zoe، الحياة الروحية التي تفتح نفسها لتقبل الروح القدس، الحياة التي ترتفع إلى الله. إن الحياة البيولوجية، الحياة الحيوانية، الحياة التي بدون الله تنتهي إلى القبر والجحيم، أمّا الحياة الروحية التي تحيا وتنشط وتقوى وتستنشق الروح القدس، فإنها ترتفع إلى السماء لتقضي الأبدية مع الله. إن مجرد الحياة الطبيعية فقط ليست هي الخير الأعظم، فماذا إذاً يكون الخير الأعظم؟

هل هو الحب الرومانسي؟

إن الخير الأعظم لبعض الناس اليوم هو الحب الرومانسي، إنك تسمع الناس يقولون: "إنني لم أعرف ما هو الحب من قبل، مع أنني متزوج منذ ١٠ سنوات. إننا نحب بعضنا بعضاً، أليس هذا صواباً؟ هل كنتُ على خطأ طوال السنين الماضية من قبل أن أعرف ماذا

بعض الأشياء في الحياة أكثر أهمية من السعادة، إنه الشرف والصدق والعدالة والإخلاص والولاء والمحبة والبذل أي ملكوت الله. قد تكون السعادة هي الخير الأعظم للأبيقوري الذي يبحث عن اللذة، ولكن بالتأكيد ليس الأمر هكذا بالنسبة إلى المسيحي، فماذا يكون إذن الخير الأعظم؟

هل هو الممتلكات؟

كثير من الناس يعتبرون أن الخير الأعظم في الحياة إنما هو في وفرة الممتلكات المادية. قال شخص لصديق له يقود عربة فخمة حاجوار Jaguar: "أنت مزدهر في هذه الأيام"، فأجابه الصديق الغني بكل جدية: "لماذا؟ إن الله الذي أعطاني هذه العربة الحاجوار، يريد أن يكون لأولاده أفضل الأشياء". فأجابه الصديق: "أنت تعلم أنه شيء ممتع أن يعطي الله عربة حاجوار، لأنه سبق وأعطى ابنه الوحيد صليباً، وأعطى تلميذه الأول والأفضل أن يُسجن وأن يُرحم وأن تنكسر به السفينة وأن يُقطع رأسه، ومجموعه من الآلام الأخرى". إن المسيحي الحقيقي الذي يحب الله يعتبر أن الممتلكات المادية هي عطايا يلزم أن نستخدمها كوكلاء لحمد الله العظيم، ولكنها بالتأكيد ليست هي الخير الأعظم في الحياة. فماذا إذن يكون الخير الأعظم؟

افتراض أن سلام الفكر هو أهم شيء في الحياة، الخير الأساسي، هدف وكمال الوجود البشري، ويقتبس المؤلف باستحسان قطعة شعرية قديمة تقول: ”فض على الآخرين عطايا الغنى، ولكن منحني عطية القلب الماء“.

والآن أليس في كل مكان في الكتاب المقدس نجد أن السلام هو الخير الأساسي، هدف وكمال الوجود. إن السلام باستمرار هو ناتج ثانوي، ثمّ شيء. يكتب بولس الرسول: «إذ قد تبرّنا بالإيمان لنا سلام مع الله» (رو 5: 1). إن السلام هو نتاج التصالح مع الله، لا يمكن أن يوجد سلام للفكر إلى أن يوجد سلام مع الله. إن الله يُعدُّنا للمجد. إن هدفه ليس أن يجعلنا سعداء أو في سلام، ولكن أن يجعلنا مقدسين حتى تتمكن من مشاركته في مجده. يكتب بولس الرسول: «إن آلام الزمان الحاضر لا تفاس بالمجده العتيدة أن يُستعلن فيها». إن الله يُعدُّ أولئك الذين يحبونه للمجد، وهو يستخدم كل أحداث الحياة لتجعلهم مستعدين. يقول أونامونو Unamuno: ”قد ينكر الله عليك السلام ولكنه يعطيك الجد“. لذلك فإن السلام الذي هو ناتج ثانوي لمصالحتنا مع الله وثمرة الروح القدس فيها، إنما هو في الحقيقة عطية عظيمة، ولكنه ليس هو الشيء المهم الفائق والخير الأعظم في الحياة.

يكون الحب الحقيقي؟ إننا نسمع المستطلين في المجتمع والمرايين يدينوننا، ولكننا نعرف ما لا نعرفونه، إننا نعرف كيف نحب بعضنا بعضاً!“

هذا هو نوع الأنانية غير المسئولة المتذكر تحت ادعاء الحب، والمتسببة في تحطيم عُرَى الأسرة، وفي تحطيم أولادنا اليوم. إن القانون يعاقب الوالدين الذين يُسبِّبون إيذاءً جسدياً لأولادهم، ولكن أرداً نوع من الإيذاء الجسدي للأولاد ينتج بسبب والدين غير أوفياء، يُمزِّقون الأولاد إلى تمزيقاً، عند دخول وجه لطيف آخر في الوسط (عشيقه للأب أو عشيق للأم). أليس هذا شيئاً يدعو إلى الرثاء والأسف أن مثل هذه الأنانية غير المسئولة والتخفيه تحت قناع الحب تصبح بالنسبة لكثيرين هي الخير الأساسي في الحياة؟!

هل هو السلام؟



والخير الأعظم في الحياة للبعض الآخر يكون هو السلام. لقد كتب رابي Rabbi

موهوب كتاباً تحت عنوان: ”سلام الفكر“، وقرأه ملايين من الذين يحاولون أن يجدوا

بحسب الظاهر ما لا يملكونه. إن محتوى الكتاب كله مبني على

هل التألم ردٍّ؟

قال حكيم ذات مرّة: ”عندما يتألم الإنسان أو يتعدّب، فإنه لا يجب عليه أن يقول: هذا رديء! هذا رديء! لأنّه لا يوجد شيء رديء يفرضه الله على الإنسان، ولكن الجيد أن يقول: (إنه مُرّ!)، لأنّه توجد أنواع من الأدوية تُصنع من الأعشاب المُرّة“.

كانت امرأة هرمة تعيش في قرية صغيرة، وكانت تبدو مسورة دائمًا، وإذا رأى أحد الزائرين يومًا ما تألقها فإنه سألهما: ”لابد أن بعض السحب أمللت أحياناً بحياتك“.

فأحابته: "سُحْب؟" "طبعاً، فإنه إن لم يوجد سُحْب فمن
أين سوف تأتينا الأمطار؟"

في كل الأشياء، الحلو كالماء، يعمل الله ليس لمعتنا ولكن سعادتنا الفضلي، لخيرنا النهائي السامي، إن أحبيبنا!

هل هو هذا العالم؟

وأخيراً، فإنه يوجد أولئك الذين يعتبرون هذا العالم أنه هو الخير الأعظم. إن يسوع ألح إلى هؤلاء الناس عندما قال: «ما إذا ينتفع الإنسان لورب العالم كله...». إن هذا العالم ليس إلا ممراً (معبراً) للمسافرين إلى الحياة الحقيقية الآتية، وهو ليس بهذه الدرجة من الأهمية، وليس بذى أهمية كبيرى نوع الأشياء الموجودة في هذه الطرق، أو كيف حال تجهيزها، فالإنسان يُسرع ليُعبر من خلالها ليجد المكان الذي وراؤها وما بعدها.

ليس ملعتنا وإنما لخيرنا:

نعود مرة أخرى إلى العدد الذي هو محور تأملنا: «إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ
اللَّهَ يَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ لِلْخَيْرِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ...». لاحظ
أن القديس بولس لا يقول إن الله لم يقل إنه يعمل لأجل المتعة أو
لأجل الصحة أو لأجل الرغد أو لأجل حياة طويلة أو لأجل حب
رومانسي أو لأجل مزيد من الأشياء المادية العالمية، إنه يقول إن
الله يعمل للخير، إنه مثل الطبيب الذي لا يعطينا الدواء لأجل أن
يجعلنا سعداء ولكن لأجل أن نشفى. والآن تصوّر نفسك وأنت
تسأل عن طبيب: «هل يجعلك في صحة طيبة؟» فيجيب واحد:
«ليس هكذا، ولكنه يجعلك تضحك كثيراً، إنه مضحك وهزلي»

الانجداب إلى الله والقوى منه:

الفصل السادس

ما هو الخير الأعظم في الحياة؟

نستقر في حديثنا مركّزين على كلمة «الخير»، «إن الله يعلم للخير لأولئك الذين يحبونه».

إن السؤال الأكبر هنا هو من الذي يستطيع أن يحدّد أو يُعرف لنا ما هو الخير. تحكي قصة أسطورية قديمة وتقول إن صبيَّين كانوا يجلسان تحت شجرة جوز، فقال أحدهما: «لو كنت أنا الذي خلقتُ العالم، لو وضعْتُ البطيخ الثقيل على الأشجار الكبيرة، والجوز والبندق على فروع الكروم المترسّحة المتسلقة، وليس كما هو حادث الآن أن ثمار البطيخ الكبيرة شابكة بفروع رفيعة، بينما ثمار الجوز موجودة على أشجار كبيرة». ثم نام الصبي تحت شجرة الجوز، ولكنه استيقظ فجأة بسبب ثمرة جوز سقطت وضرَّبته على أنفه، وبعد أن توقف نزيف الدم من أنفه قال: شكرًا لله، إنني سعيد جدًا أنه لم يضع ثمار البطيخ على الأشجار، حقًا إنه هو الذي يعلم أفضل».

حتى يُعرف الله ما هو الأفضل، لذلك فعلينا أن نتوجّه إليه لكي يدلّنا على إجابة هذا السؤال الكلّي الأهمية: ما هو الخير الأعظم في الحياة؟

فالله إذاً ليس هو خيراً فقط إن أعطاني التناح أو الأمان أو السرور أو السعادة أو الأشياء المادية أو السلام أو المركز أو المرتبة أو القوة أو النفع أو الفيض والغنى أو الطموح، كلاً! فإنه قد لا يعطيني هذه الأشياء، وقد يسمح أن أعاني من المرض أو الألم أو يليني بفقدان كل شيء، ولكنه يظل صالحًا وخيّراً، ولا يزال يعمل لأجل خيري النهائي. إنه يعمل ما يعمل لأجل غرض، غرض خيرٍ كريم، لقصد أن يجذبني إليه وأكون أكثر قرباً منه، لأنني إن أخذته، فقد أخذتُ كل شيء، وقد حصلت على أفضل شيء، لأنه هو فقط أعظم خير في الحياة.

صلوة

اجذبني، أيها رب،
استمر في جذبي لا تكون أكثر
قرباً إليك،
ولو من خلال تجارب الحياة،
أكانت مرّة أم حلوة،
أعظم خير في الحياة. آمين.

الآخرين، وأن يحب الله أكثر من أي شيء، أكثر من المال، والملذات، أو أي مجرى حياة ناجح، وفي نفس الوقت دعه يرى محبة الله هذه في حياتك الشخصية كأب له. فإن عاش هكذا في المستقبل مع الله، فإني أظن أن كل شيء سوف يكون على ما يرام، أليس كذلك؟”

فأجاب الأب: ”حقاً، يمكنه إن سار مع الله أن يعيش في أي مستقبل“. فالخير الأعظم هو الحبة، محبة الله ومحبة القريب.

الروح القدس:

ثانياً: يقول يسوع: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحربي الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه!» (لو 11: 13). إننا نحن البشر نعرف أن نعطي عطايا صالحة لأولادنا، ولكن الأعظم في العطاء من الكل هو الله، وأعظم وصية يمكنه أن يعطيها لنا ليست الصحة ولا الثروة ولكن الروح القدس، لأننا إذ نمتلىء من الروح القدس فنحن إنما نمتلىء بالذي هو الصلاح الأسمى. إن كنت تشك للحظة أن الروح القدس هو الخير الأعظم، فأنصت إلى القديس بولس وهو يتكلّم عن ثغر الروح: «ثغر الروح: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، دعاء، تعفف (ضبط النفس)...» (غل 5: 22).



أولاً: يلزم أن نقول بالتأكيد إن الخير الأعظم هو الحبة. الحبة هي محور الوجود، كما يقول الرسول يوحنا: «الله محبة». إن الشخص الذي يُحب يشترك في كيان الله الحقيقي، والذي يكره لا يحب الله، والوصية الأولى العظمى في المسيحية هي أن تحب الله من كل الكيان، وأن تحب قريبك كنفسك.

يقول القديس ديمترى من روستوف St. Dimitri of Rostov: ”لا اتحاد يمكن أن يكون مع الله إلا بالحبة العظيمة جداً. وهذا يمكن أن نراه من قصة المرأة الخاطئة المذكورة في الإنجيل، إذ إن الله في رحمته العظيمة، منحها غفران خططيتها واتحاداً قليلاً حمياً بها، لأنها أحبت كثيراً (لو 7: 47). إن الله يحب أولئك الذين يحبونه، ويلتصق بأولئك الذين يتلتصقون به. إنه يهب نفسه لأولئك الذين يبحثون عنه، وينجح بسخاء ملء الفرح لأولئك الذين يرغبون أن يسعدها بحبه“.

تساءل أب ذات مرأة: ”كيف أعد أبني جيداً لما يحبه المستقبل له من مفاجآت؟ ماذا أعمل؟“

فأجابه صديق مسيحي: ”أحبب الولد وعلمه أن يحب

الخلاص:

من وجهة نظر مسيحية، فإنه توجد كلمة أخرى تُعبر عن الخير الأعظم، ألا وهي كلمة **الخلاص**، فإنه لا يوجد شيء يمكن أن يجعلنا نخزن سوى ما يهدّد خلاصنا، وقد قال القديس يوحنا ذهبي الفم: إنه بخصوص الخالق المقدّر لها الاتجاه نحو الأبديّة، فإن الحزن الممكن أن تقبله هو إن كان بسبب فقداننا السعادة الأبديّة من خلال الخطية، وهذا هو السبب الذي يجعل الأبديّة ضروريّة جدًا. التوبة هي الاتّهاب، البكاء، الصراخ لأجل الخلاص المفقود، إنها طريق عودة الابن الضال إلى أبيه. يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: [يوجد شيء واحد نخجل منه، إنه الخطية]. الخطية هي التي تفصلنا عن الخير الأعظم والأهم، ألا وهو الله وخطّته الرائعة للخلاص.

أن تعرف الله:

ما هو الخير الأعظم؟ إنه الحبّة، الروح القدس، الخلاص. كما يوجد وجه رابع هو أن تعرف الله، أن تعرف الله الذي هو نفسه الخير الأعظم، وأن يكون لك علاقة حميمة شخصية عن قرب معه من خلال الصلاة، الإفخارستيا، وكلمة الله.

عند اقتراب خاتمة سفر أيوب، فإننا نرى أن أيوب قد أخذ تدریجياً في أن يفهم أن نكتبه العظيمة ليست هي فقدانه لأسرته أو ممتلكاته أو

إن القديس صاروفيم الذي من صاروف يصف هدف الحياة

المسيحية ويقول: إنها ليست أكثر من اقتناء الروح القدس. فيقول: [الصلوة، الصوم، السهر، وجميع الأعمال المسيحية الأخرى مهما كانت جيدة في ذاكها، بالتأكيد لا تُشكّل هدف الحياة المسيحية. إن هذه الأشياء وسائل أساسية يمكن الاستعانة بها لبلوغ المدف، لأن المدف الحقيقي للحياة المسيحية هو اقتناء روح الله القدس، أمّا بالنسبة للأصوم والأسهار والصلوات والإحسان إلى الفقراء والأعمال الأخرى الصالحة التي تُعمل باسم المسيح، إنما هي وسائل فقط لنواول روح الله القدس... إن الصلاة مكنة لكل إنسان، غني أو فقير، قوي أو ضعيف، شريف أو بسيط، صحيح أو مريض، خاطئ أو شرير، عظيمة هي قوّة الصلاة، وهي أكثر من الكل تجلب روح الله، وهي الأسهل من كل الوسائل الأخرى لنمارسها ونتدرب عليها].

يُقال إن القديس صاروفيم في كلماته السابقة يجمع كل التقليد الروحي للكنيسة الأرثوذكسيّة، لأنّه، ما أعظم اقتناء الروح القدس! وما أسهل الواسطة التي يمكننا عن طريقها أن يأتينا: الصلاة!

وبالإضافة إلى الحبّة والروح القدس، فإننا نأتي إلى وجه آخر للخير الأعظم في الحياة.

الله. كما أنَّ يسوع قد عرَّفَ الخير الأعظم بمصطلحات وشروط إيمان إرادة الله. إن هدف وغاية الحياة ليس هو أن تصير سعيداً، أو تبلغ اللذة وتتجنَّبُ الألم، ولكن هدف وغاية الحياة هو أن تفعل مشيئة الله في كل شيء وما يجب أن تتمممه. يقول يسوع: «ليس كلَّ من يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملوكوت السموات، بل الذي يصنع مشيئة أبي الذي في السموات» (مت ٧: ٢١)، «طوبى لأولئك الذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» (لو ١١: ٢٨)، «لأنَّ منْ يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» (مت ١٢: ٥٠)، فالخير الأعظم إذن في كتاب الله هو أن تصنع مشيئة الله المقدسة. «ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أتفص» (يو ٣: ٣٠).

صلوة

يا رب، إن كنْتَ أكُدُّ وأعملُ في حياتي، فدع عملي يكون لأجل ما هو حقاً الخير الأعظم؛
المحبة، الروح القدس، الخلاص، أن أعرفك
 وأن أصنع مشيئتك في كل الأشياء. لا
تدعني أقف يوماً أمامك وأجد أنني قد
أضعت حياتي وأنا أعمل وأبحث وراء التوافه،
لأن هذه ستؤدي إلى الجحيم. ساعدني على
الدوار لأبحث باستمرار عمما هو أعظم وأفضل.

صحته، ولكن هي فقدانه لشعوره برفقته لله، ويظهر فجأة الله شخصياً في الأصحاحات الأخيرة (أي ٣٨: ٦-٧)، ومن ثمَّ فإنَّ شكاوى أيوب وأسئلته المُرَّة تنتهي فوراً (أي ٤٢: ٦)، ويتحققُ أيوب أن حياته كلها كانت تتضمَّن معرفة الله عن طريق التقولات، أمَّا الآن فلأول مرَّة يعرفه شخصياً عن اختبار، ومع أن العبارة الأخيرة في سفر أيوب تتكلَّم عن عودة ممتلكات أيوب، إلا أنَّ هذا في الحقيقة غير متصل بالموضوع، لأنَّ أيوب قد تعلَّم أنَّ الخير الأعظم في الوجود البشري ليس هو الصحة ولا الثروة، ولكن المعرفة الشخصية لله. ونفس هذا الفكر يُعبِّر عنه إرميا النبي في قوله: «هكذا قال رب: لا يفتخرون الحكيم بحكمته، ولا يفتخرون الحجَّار بجبروطه، ولا يفتخرون الغني بغنائه، بل هكذا ليفتخرون المفتخر بأنه يفهم ويرعرفي أنِّي أنا رب الصانع رحمة وقضاء وعدلًا في الأرض، لأنِّي هكذا أسرُّ يقول رب» (إر ٩: ٢٣ و ٢٤).

أما يُعبِّر القديس يوحنا الرسول عن نفس الفكر عندما يكتب: «هذه هي الحياة الأبدية (وكان يمكنه أن يقول بالمثل: هذا هو الخير الأعظم) أن يعرفوك أنَّت الإله الحقيقي وحده، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ٣).

أن تصنع مشيئة الله:

ما هو الخير الأعظم؟ إنه المحبة، الروح القدس، الخلاص، معرفة

ولكنك تتساءل: ما هو ملکوت الله؟ بماذا تُعرّفه؟ إنه ببساطة سيادة الله في حياتي، إذا ما أخضعت إرادتي لإرادة الله، إذا ما سمحت ليسوع أن يتربّع على عرش قلي ويحكم كملّك، عندئذ فإن ملکوته يصبح حقيقة فيَّ.

الاتحاد مع الله:

وصف القديس ديمتري الذي من روستوف St. Dimitri of Rostov الخير الأعظم بعبارات الاتحاد بالله فقال:

[أوَّل كل شيء ينبغي أن يُفهم أن من واجب جميع المسيحيين، خاصة أولئك الذين دعوَّتهم هي التكريس للحياة الروحية أن يجاهدوا دائمًا وبكل وسيلة ليكونوا متحدين مع الله: خالقهم ومحبهم، وصانع الصلاح لهم، وخيرهم الفائق، والذي به وله قد خلُقوا. وهذا لأن المركز والغاية النهاية للروح التي خلقها الله ينبغي أن تكون الله نفسه وليس سواه، الله الذي منه قد استمدَّ الروح حيَاها وطبيعتها، والذي لأجله يجب أن تحيا إلى الأبد. لأن جميع الأشياء التي تُرى على الأرض، المحبوبة والمرغوب فيها، من الغنى والمجده والزوجة والأولاد، وفي كلمة واحدة، كل شيء في هذا العالم إن كان جميلاً أو حلواً أو حذِّيراً، إنما لا ينتمي إلى الروح ولكن إلى الجسد فقط، وهو مؤقت وسوف يعبر سريعاً كالظل. أمّا الروح التي لها الخلود، فيمكّنها أن

الفصل السادس

تعريفات إضافية عن الخير الأعظم

نستمر في دراستنا لرسالة رومية الأصحاح الثامن العدد الثامن والعشرين، ونحو نذكر مراً أخرى في هذا الفصل على الكلمات: للخير فإن كان الله يعمل للخير في كل الأشياء لأولئك الذين يحبونه، فنحن نحتاج أن نعرف إجابة السؤال: "ما هو الخير الأعظم في الحياة بحسب الله؟"

ملکوت الله:

لقد استخدم يسوع تعبير «ملکوت الله» ليصف الخير الأعظم، فيقول: هذا الملکوت مثل كتر محجاً في حقل أو مثل جوهرة كثيرة الشمن عندما تجدها فإنك سوف تضحي بكل شيء لتحصل عليها. إن الأشياء الأرضية سوف تبدو وكأنها ليست ذات قيمة مقابل قيمتها وجمالها اللذين لا يُقدران. يقول يسوع: ليكن هذا هدفك، ليكن هذا غايتك، ولتكن هذا شاغلك كل الحياة، اطلبوا أولاً ملکوت الله وبره وهذه كلها من طعام أو لباس أو مأوى، بحسب عنانة الله سوف يعطيها لك بحسب احتياجك لها.

نشر وقد انتشونا وذهبنا وفاض الفرح فينا، وفي مثل هذه الأوقات لا يكون من الصعب علينا أن نفكّر في تجلي العالم، إنه يكفيانا أن نكون مدرّكين لربوبية سيدنا وبنوتنا له لتحصل على ومضة داخلية من إشعاع الألوهية فيه. فماذا ينبغي أكثر من هذا؟].

الإنسان يجاهد نحو خير أسمى:

إننا إذ خلقنا على صورة الله، فإن الإنسان يجاهد دائمًا نحو خير فائق في الحياة، شيء يبدو له أنه يستحق محاولته وجهده ومساهمه. هذا الخير الأسمى قد يكون قريباً أو على بعد، ملموساً مادياً أو مثالياً، حيوانياً أو روحيًا. قد يكون الإنسان على خطأ، ولكنه يستمر في الجهاد بطريقته الخاصة نحو خير فائق لكي ينجزه ويتحققه، وبالنسبة إلى المسيحي، فإن الجهاد هو نحو الكمال، نحو التألّه، نحو الخير الوحيد الحقيقي النهائي، ألا وهو الله واتحادنا به.

اتحادنا بالله في الحاضر والمستقبل:

إن اتحادنا بالله يبدأ على الأرض من خلال الصلاة والأسرار خصوصاً سرّ التناول، وهذا سوف يُختتم يوماً في السماء عندما نرى الله وجهاً لوجه. يقول يسوع: «طوي للأنقياء القلب لأنّهم يعainون الله». إن الرؤيا تستطيع، وذروة الروعة هو أن تقف يوماً ما في حضرة الله نفسه: «فإنه لم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا ظهر

تبلغ راحتها الأبدية في الإله الأبدي فقط الذي هو خيرها الأعظم، والأعظم كاماً من كل جمال وحلوة ولطف، وهو بيتها الطبيعي الذي منه أنت وإليه يلزم أن تذهب، لأنه كما أن الجسد الذي يأتي من التراب يذهب إلى التراب، هكذا الروح التي تأتي من الله تعود إلى الله وتسكن معه، لأن الروح قد خلقها الله لتقيم معه إلى الأبد، لذلك فإنه في هذه الحياة المؤقتة، يلزم أن نبحث باجتهد عن الاتّحاد بالله، لنحسب مستحقين أن نكون معه وفيه إلى الأبد في الحياة الآتية، ولكي يُشعّل الإنسان في قلبه مثل هذا الحب المقدس ويَتَّحد مع الله في حبٍ لا ينفصل، فإنه يجب عليه أن يُصلّي باستمرار وأن يرفع عقله إلى الله، وكما أن اللهب يزداد اشتعاله كلّما أمد بالوقود باستمرار، هكذا الصلاة التي تُمارس كل حين، ومعها الفكر وهو متعمق أكثر في الله، يوقظ ويستفتح الحب الإلهي في القلب. والقلب وهو مشتعل بالنار سوف يُدفع الإنسان الداخلي، وسوف يُضيء له ويُعلّمه ويكشف له كل الحكمة المخفية وغير المعروفة، ويجعله مثل صاروف ملتهب، ويجعله واقفاً دائمًا أمام الله بروحه من الداخل، ويجعله دائمًا يتطلع إليه بفكره، ويجتذب من هذه الرؤيا حلوة الفرح الروحي].

ويصف القديس باسيليوس فرح اتحاد الروح مع الله فيقول: [إنه يظهر داخل أرواحنا ملتحقاً بالروعة والعظمة والقوة. نحن

لأجل الراحة أو الحب، بل ولا حتى غفران الخطايا، ولكن الاشتياق لله نفسه، أن تعيش في اتحاد مع الله، فهذا هو قمة الروعة والجلال، الذي هو أعظم وأسمى خير في الحياة.

الإنسان يفضل الهبات الأقل:

إن مأساة الخطية هي أن روح الإنسان تحول بعيداً نحو خير أقل جدًا، نحو تفاهات، بينما من الممكن لها أن تحصل على الخير الأعظم. يُقال إن الإنسان يجد من الصعوبة بمكان أن يحصل على ما يريده لأنه لا يريد الأفضل، بينما يجد الله أنه صعب أن يعطي لأنّه سوف يعطي الأفضل والإنسان سوف لا يأخذه.

إن غاية وهدف وجود الإنسان هو أن يتقبل الخير الأعظم الذي يعطيه الله في المسيح، وحالما نقبل عطيته العظمى التي هي الخلاص والتبني في عائلة الله، فنحن ننمو في حياة الله، ننمو في القدس، ننمو في السير مع الله وفي اتحادنا معه، كما لاحظ أبراهام هيز كل Abraham Heschel وقال: "إن الخير لا يمكن أن يوجد بدون قداسة، الخير هو الأساس والقدسية هي القمة والذروة. لا يمكن للإنسان أن يكون خيراً صالحاً إن لم يجاهد ليكون قدسياً، وأن تكون قدسياً، فهذا يعني أن تكون منفصلاً عن شهوات العالم، وطائعاً ومطابقاً ومتائلاً لرغبة الله، لتكون مثله.

نكون مثله، لأننا س NRAE كـما هو» (يو ٣: ٢)، ويقول لنا القديس بولس وإنه أن ثوت فهذا معناه: "أن تكون مع المسيح"، ولا حاجة لمزيد من الإضافة على ذلك. إنما السماء بالضبط أن: "نكون مع المسيح"، وهذا هو الخير الأعظم. وإن كان هذا لا يقنوك ولا يُشبعك، فأنت حقيقة لم تعرف المسيح قط، كما تقول القصيدة: "حيث تكون أنت في السماء يا رب، فالنظرة إليك تكفي".

مخلوقون لله:

إن الإنسان إنما قد خُلق لأجل الخير الأعظم، وهذه طريقة تعبير أخرى للقول إن الإنسان قد خُلق لله، إنه خُلق للمحبة، إنه خُلق للصلاح، إنه خُلق للقداسة، إنه خُلق لينجز مشيئة الله، إنه خُلق لأجل اتحاد مع الله. إنه، عرضاً فقط، خُلق الإنسان ليحيا على الأرض، لتكون له أعمال ثانوية كالطعام والمأوى، ولكن حاجته الأولى والجوهرية هي الله فقط، وبخصوص هذا قال يسوع: «طعامي أن أصنع مشيئة الذي أرسلني وأتم عملي» (يو ٤: ٣٤).

لقد صرخ المرنّم في مزمور ٤٢: «كما يشترق الإيل إلى مجاري المياه، هكذا تشترق نفسي إليك يا الله، عطشت نفسي إلى الله الحي». إن أسمى وأعظم وأنقى اشتياق للقلب البشري ليس هو

الفصل الثامن

لأولئك الذين يحبون الله

تحكي امرأة عن رؤيتها لواحد من أولئك المثابرين على التقليل من شأن المصادرات والتواترات في الوقت المضبوط فتكتب: ”في صباح أحد الأحاداد وبينما كنا نقود العربة عائدين من الكنيسة إلى المنزل، فإننا وصلنا إلى قطعة صغيرة من الأرض كانت تُرمَّم للبناء، وكانت تغير حركة المرور على السير في ممر ضيق، وفجأة وإذا بواحد من السائقين ينطلق بسرعة كما في سباق، ويقطع الطريق على شاحنة حتى كاد يتسبب في حادثة، لم يحاول سائق الشاحنة أن يزاحمه ولم يُدْوِ بصوت آلة التنبية ولا أخذ يصبح بأعلى صوت من نافذة الشاحنة، ولكنه ببساطة أفسح الطريق أمام السائق الأناني. هذا كله حدث بينما لمحنا في الزجاج الخلفي للشاحنة أفضل مُلصقاً ليُعبر عن هذا الموقف المعيب: (الله يحبك... أمّا أنا فأحاول...)“

إن مفتاح الآية: (رو: ٨: ٢٨) هو محبتنا لله. «إننا نعلم أن الله يعمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه». إن هذا الوعد الإنجيلي ليس هو لكل أحد. إنه مشروط، إنه فقط لأولئك الذين يحبون الله.

لذلك، فإن الله الذي هو نفسه الخير الأعظم يعمل دائمًا للخير في حياة أولئك الذين يحبونه، كما يقول شخص ما: (لا يمكن أن يحدث شيء لي، دون أن يكون الله قد فحصه أولاً وباركه ل حاجتي ونفعي، كل شيء يجب أن يعبر عليه قبل أن يصل إلى ويرتطم بي)“.

وأختم هذا الفصل بالكلمات التي كتبها أحد آباء الكنيسة الأرثوذكسي في كتابه: ”شركة المحبة“ فيقول:

[إن بناحتنا وفشلنا يلتئمان معًا في إيجابية يقودها القدير لخلاصنا، والخسائر الزمنية ليست خسارات روحية، والضيق والحزن والألم والمرض لغة التدبير الإلهي وهي شفتره السرية التي إن اكتُشفَ معناها فإن تفسيرها بالروح تقوم ومسرةً وبجد أبدى].



وعد مشروط

إنه يصبح من المعقول أن الله قادر أن يعمل بعض الأشياء لأولئك الذين وضعوا حياتهم تحت عنایته، بينما هو غير قادر أن يعمل لأولئك الذين يعيشون بحسب هواهم الشخصي، ويبدو واضحًا بصورة كاملة أن الله يقدر أن يعمل مع الشخص الذي أصبحت حياته خاضعة تماماً للإرادة الإلهية، وبطريقة لا تجعل الله قادرًا أن يعمل مع الشخص الذي يتلوى ليعمل ما يسره. إن الله لا يفرض نفسه على أولئك الذين يرفضونه. إن الآباء المحبين الذين يريدون أن يقودوا أولادهم بحسب أهداف حكمته، والذين هم مستعدون دائمًا أن يساعدوهم، هؤلاء يصيرون غير قادرين أن يعملوا أي شيء لأولئك الأبناء الذين يرفضون مساعدتهم، ولكن إن وضعت يدك بالإيمان في يد الله باستمرار معه، عندئذ فإنك سوف تستخدم جميع الخبرات والتجارب وأحداث حياتك، سواء أكانت سارة أم غير سارة لأجل خيرك. يلزمك أن تتذكر هذا عندما تصل إلى ذلك التوسل الجميل في القدس: “لأجل كل ما هو صالح ومفيد لأرواحنا... من رب نسأل”. الله سوف يستخدم جميع خبرات الحياة لأجل خيرنا، لأجل نفعنا كما نصل إلى القدس، ولكن على شرط أن نحبه ونتعاون مع إرادته.

السؤال الهام:

وبهذا، فإن السؤال الكلّي الأهمية الذي يطرح نفسه هو: هل أحب الله؟ وكم أحبه؟ وهل أحبه كما يأمرني الإنجيل من كل القلب والفكر ومن كل النفس والقدرة؟

عندما يحب الإنسان الله حقاً، عندئذ فإن كل الوصايا سوف تُتمم، وبخصوص هذا يقول القديس أوغسطينوس: [أحب الله وافعل ما شئت]، لأنك إن أحبيت الله، فإنك سوف تعمل إرادته في كل شيء. يقول الواعظ فينيلون Fenelon: ”إن الرغبة في حبّة الله هي كل الدين religion“، ويضيف جوته Goethe قُدُّماً ليقول: ”نحن نُشكّل ونُكَيِّف بما نحبه“. إن كنا نحب الله حقاً، فسوف تكون مثله.

في الرواية التي تسرد تاريخ حياة إرفنج ستون Erving Stone النحات النابغة والمعلم يقول لما يكل أخجل Michelangelo الصبي الصغير الطموح: ”إن التخصص في مهنة مُكْلَف جداً، سوف يكلفك حياتك كلها، أمّا ما يكل أخجل فإنه يبصرة نافذة يُحب: (ولأي شيء آخر تكون الحياة؟)“، يمكننا ألا نوافق ما يكل أخجل، إن الحياة هي أكثر من أن تُخصَّص أو تُوقَّف لأشياء، الحياة هي للمحبة، طبّة الله بكل القدرة والقوة والقلب والنفس ولحبّة

في حياتهم، كما أنهم يجتهدون في أن يقضوا وقتاً طويلاً بقدر ما يستطيعون معه في الصلاة، في الكنيسة، في دراسة كلمته، في مساعدة الفقراء والمتألمين.

هل حقاً تحب الله؟ استرجع كل أنواع الحبة الأخرى التي عرفتها، محبة صيد السمك، محبة الموسيقى، المحبة الرومانسية، محبة الطبيعة، محبة الكتب. أسأل نفسك ما إذا كنت تحب الله هكذا. هذه هي بالضبط ما تعنيه هذه الكلمة: (تحب). هل أنت متّحمس عندما تفكّر في الله، كما يفعل صياد السمك وهو يتّصّب عرقاً على طاولته في يوم حار، وهو يُفکّر في تدفق سمك السلمون ورائحة خشب الصنوبر وموسيقى المياه التي ترقص في مجرى الماء؟ إن كنت تحب الموسيقى، فهل يسوع بالنسبة لك مثل الموسيقى، خبرة ترفعك وتوصلك إلى الدهش والانبهار اللذين يتركانك هنّاك ويسكان أنفاسك؟ هل حياتك كما لو كانت ملفوفة ومدورة ومغلفة بالله، كما أن حياتك ملتتصقة بابنك الذي تحبه كثيراً. إن كنت تحب الترحلق على الجليد، فهل يعنيك في أن تصرف مالاً قليلاً لازماً لتشتري كل معدات الترحلق غالياً الثمن؟ أظن لا! إن الحبة لا تحسب الثمن. إن كنت تحب الله وكنيسته، فما مقدار الثروة، إن لزم الأمر، التي تصرفها عليه بسرور؟ إن لم يكن، فلم لا؟ أما يستحقها؟ إن لم يكن، فمن يكون؟ منْ أو ما هو حبك الأول؟

الآخرين كالنفس. هذه هي الوصية الأولى والعظمى وليس وصية أعظم منها. يقول القديس أوغسطينوس: [إن من لا يحب المسيح فوق الكل، لا يحب المسيح أبداً]. ويبقى السؤال الأهم: بما لا يُقاس فيما يتعلق بالحياة: هل أحب المسيح فوق الكل؟

هل تحب الله؟

سأل شخصٌ ما، أصدقاءه إن كانوا يحبون الله، فأجابوه: نعم نحن نفعل ذلك. ولكن عندما ضيق الخناق عليهم بالسؤال: كيف يحبون الله؟ لم يستطيعوا الإجابة، وطلبو مزيداً من الوقت للتفكير. لقد كان هؤلاء الأصدقاء يدعون أنهم مسيحيون. هذا يُوضّح لنا أن كثريين منا لا يعرفون حقيقة كيف يحبون الله. لم يُفکّر حقيقة في معنى الوصية العظمى التي للمحبة وما تعنيه في حياتنا.

هل تحب الله؟ هل تحبه حقاً؟ انظر إلى طريقة حياتك، هذه التي سوف تعطيك دليلاً جيداً عما إذا كنت تحب الله حقاً. يقول يسوع: «الذى يحبنى يحفظ وصاياتي» (يو 14: 15). عندما أتواه لأتخاذ قراراً، هل أتمّن أولأ وأفکّر جيداً فيما هي إرادة الله معى في هذا الموقف؟ هؤلاء الذين يحبون الله يحاولون أن يعرفوا كثيراً عن يسوع بقدر ما يستطيعون، ويحاولون أن يتعلّموا مشيّعاته

أنصاف مسيحيين:

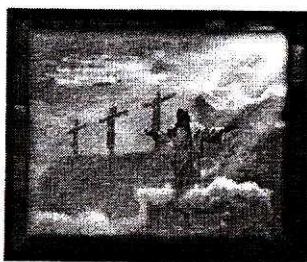
يقول شخص ما: ”إن أعظم جريمة يمكن أن يرتكبها الكاهن ضد شعبه هو أن يسمح لهم أن يكونوا أنصاف مسيحيين، مسيحي متنصف الطريق“ . إن النصف مسيحي هو شخص يشعر أن له: ”دينًا“ يكفي، أعمال صالحة ليجوز الامتحان الأخير، ويكره أي أحد يتحدى اقتناعه الذاتي. يقول إلتون تروبلد Elton Trueblood: ”إن هرطقتنا ليست هي أتنا ننكر سيدنا، ولكن أتنا يجعل ما يجب أن يكون كبيراً، يجعله صغيراً، مثل: إصغاء قليل، ملازمة قليلة، مال قليل، صلاة قليلة، وهذا هو كل شيء!“

المحبة هي كل شيء:

تحكي أسطورة وتقول: إن تاجراً ثرياً بينما كان يسافر في منطقة البحر الأبيض المتوسط سمع حديثاً طويلاً عن بولس الرسول حتى أصبح مفتوناً به، لدرجة أنه ما إن وصل إلى روما حتى قرر أن يزوره في السجن. تقابل الرجل الغني مع تيموثاوس الذي رتب له مقابلة معه. وبينما التاجر يُسرع في خطواته نحو سكن القديس بولس، فإنه انهش ليجده شخصاً هرماً أكثر مما كان يتوقع، وهو مجاهد بدنياً، إلا أنه مع ذلك شعر للتو بقوة الرسول وصفائه وهدوئه وشخصيته المغناطيسية الجذابة. تكلم التاجر مع القديس بولس

ساعات طويلة، وأخيراً انصرف التاجر وهو مصحوب ببركة القديس بولس. وخارج المسكن سأله التاجر القديس تيموثاوس: ”ما هو السر في قوة هذا الإنسان؟ إنني لم أرَ فقط شيئاً مثل هذا أبداً من قبل“ . فقال له تيموثاوس: ”لم تخمن؟ إن بولس في حالة حب!؟“ فنظر إليه التاجر وهو مرتبك ومتحير وسأل: ”في حب؟!“ فأجابه تيموثاوس: ”نعم، إن بولس في حالة حب مع يسوع المسيح“ ، فنظر التاجر وهو متحير أكثر وسأل: ”هل هذا هو كل ما في الموضوع؟“ فابتسم تيموثاوس وأجابه: ”نعم، هذا هو كل ما في الموضوع، هذا كل شيء!“

إن كنّا حقاً نحب الله مثل بولس الرسول، فسوف تكون نحن أيضاً قادرين أن نرى الله يعمل في حياتنا مستخدماً كل ما يحدث لنا لأجل الخير الأبدي، ونقدر أن نقول مثله: + «إنا نعلم أن الله يعمل في كل الأشياء للخير لأولئك الذين يحبونه...».



ومقياس حبنا لله هو حبنا للناس. وإن كان حُبُك حقيقياً، فهذا الحب سوف يُعبر عن نفسه في المحبة للآخرين. وعن هذا يقول القديس يوحنا: «إن قال أحد: إن أحب الله وأبغض أخاه، فهو كاذب. لأن من لا يحب أخيه الذي أبصره، كيف يقدر أن يُحب الله الذي لم يبصره؟» (أيو ٤: ٢٠)

محبة الناس تفيض وتتدفق من محبة الله:

ينبغي أن نحب الله فوق كل شيء، ومن كل الفكر والقلب والنفس والقدرة، لأنه من محبتنا الله يمكننا أن نحب إخوتنا البشر، وهذا السبب فإن الوصية العظيمى تضع محبة الله أولاً: «تحب (أولاً) الرب إلهك من كل فكرك ومن كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، (ثانياً) تحب قريبك مثل نفسك». إن محبة الناس تتدفق من محبة الله، وكلما زادت محبة الإنسان لله، كلما زادت محبة الإنسان لقريبه، وكلما قلت محبة الإنسان لله، كلما قلت محبة الإنسان لقريبه. إنه من خلال وحدتنا بالثالوث، الآب والابن والروح القدس، نتمكن من أن نحب ثالوثاً آخر، إلا وهو: الله والنفس والقريب.

يكتب ف. ب. ماير F.B. Meyer: «ألا تبدو أن وصية المحبة هذه غير عملية؟ نعم، فهي جلسنا الميت تُعتبر هكذا عالية ولا

الفصل التاسع

هل حقاً تحب الله؟

قال سائح ذات مرّة لمرشد سياحي يتغافر بمدينته: «لك حق أن تباهى بمدينتك، لقد تأثرتُ جداً بعدد الكنائس التي فيها، لابد أن الناس في هذه المدينة يحبون الله»، فأجابه المرشد: «قد يحبون الله، ولكنهم حقيقة كالذين في الجحيم يكرهون بعضهم بعضاً».

يمكي دوستوفسكي عن امرأة مُبشرة، كانت تجول نواحي روسيا بغيرة مسيحية عظيمة تكلم كل إنسان عن محبة الله، ومع ذلك فإن نفس هذه المرأة لم تكن تتحمل أن توجد في حجرة واحدة مع شخص آخر، فقد كان هناك رجل يُحدث صوتاً وهو يشرب الشوربة، ولكن هذا أثار اشمئزازها. وامرأة أخرى كانت تُنقنق أثناء ضحكها، وهذا كان يثيرها، ورجل آخر كان يُشخر أثناء نومه، وهذا كان يزعج سلام فكرها تماماً. لاحظ دوستوفسكي هذا فقال: «مع أن هذه المرأة كانت تحب الله على العموم، فإنها لم تتمكن من أن تحمل الكائنات البشرية على الخصوص»، فلا عجب إذن إن قال أحد إنه من الأسهل عليك أن تحب الله عن أن تحب الناس. الله لا يُرى ولكن الناس يُرون،

الحاجة إلى التوبه:

إن كانت خطيبتنا الكبرى هي أنها لا تحب الله، ولكن بدلاً من ذلك تحب أنفسنا وتحب المقتنيات، إذاً توجد حاجة ضرورية أساسية لنا أن نتوب، لتحول طريقنا من استغرافنا في الأمور الثانوية غير الهامة والتي هي غالباً محبات خاطئة لتحول إلى الله بكل قلباً.

سأل شخص ما ذات مرّة: "كيف يمكنني أن أحب الله كما تطلب مني الكتب المقدّسة أن أفعل، كيف يمكنني أن أهبه كل القلب؟" فكانت الإجابة التي أعطيت له: "يجب عليك أولاً أن تفرغ قلبك من الذات ومن الأشياء المصنوعة".

وحقاً، كيف يمكننا أن نحب الله، إن كانت قلوبنا مملوءة بمحبة الذات ومحبة الأشياء، إن كانت ممتلئة بالكراهية والحسد؟ إننا في حاجة أن نتوب لكي نفرغ قلوبنا من هذه الحبات الخاطئة، حتى يمكن أن يوجد مكان في الداخلي ليأتي الروح القدس ويمثلنا. محبة الله، لأن الروح القدس لا يمكنه أن يأتي ويجعلنا نحب الله من قبل أن نتوب أولاً ونفرغ قلوبنا من الحبات الأقل التي تحاول أن تأخذ مكان الله. إن الله يعلم للخير فقط لأولئك الذين يحبونه، وبدون الروح القدس فإنه لا يمكننا أن نحبه.

يمكننا أن نبلغها، ولذلك فالسموّ الهايل لهذه الوصية يُقصد به أن يجذبنا إلى الروح القدس. إنه يسكن في كل مكان محبة الله في القلوب المستسلمة له بال تماماً. إن أردت أن تجعل هذا الحب حقاً خاصاً وأمتيازاً لك، ضع نفسك واطأأ أمام نهر الحياة، وهو سوف يملأ كل أحدود وخليج في طبيعتك".

الخطية العظمى هي ألا تحب الله:

إن كانت الوصية الأولى والعظمى هي أن تحب الله من كل كيانك، فإنه يتربّ على ذلك أن تكون الخطية العظمى هي ألا تحب الله، فتحب نفسك وتحب الأشياء وتحب أولئك الذين يحبونك.

يوضح الكاتب العظيم المكرّس أزوالد شامبرز Chambers ما يحدث عندما نستبدل محبة الله بمحبة الأشياء أو محبة الذات فيقول: "إن ما يجري سوف يكون هكذا: إذا نحن أحببنا كائناً ما و لم نحب الله، فإننا نحتاج من هذا الكائن كل الكمال والاستقامة وصحة الرأي، وعندما لا نحصل على ذلك، فنحن نصير قساة وانتقاميين، إننا نطلب من الكائن البشري ما لا يمكنه أو ما لا يمكنها أن تعطيه. إنه يوجد كائن واحد يمكن أن يُشبع اللجة الملتهبة شوقاً للقلب البشري، وهذا هو رب يسوع المسيح". إنه هو الذي نحن مأمورو أن نضعه الأول في الحياة وأن نحبه بكل كياننا.

ظهورات يسوع بعد القيامة:

من البُّن أن جميع ظهورات يسوع بعد قيامته كانت فقط لأناس كانوا يحبونه، إلَّا واحداً. إن يسوع بعد قيامته لم يظهر لبيلاطس أو هيرودس أو لقياذا أو للجنود الرومان. لماذا؟ لماذا لم يظهر لهم الرب أو يربكهم أو يسخّفهم بأن يُعلن لهم أنه حيٌّ وموجود حقيقة؟ إن الإجابة هي أنه عرف أن مثل هذه الظهورات لن تؤدي إلى أي فائدة حقيقة. إنه عرف أن مثل هذه الظهورات، على أفضل الأحوال، سوف ترعبهم، بل وعلى نحو أسوأ قد يتقوّسوا وتزداد مقاومتهم. إن ظهورات يسوع بعد القيامة كانت فقط لأولئك الذين يحبونه، فقط لأولئك الذين قلوبهم قد تحولت نحوه، ونفس الشيء هو حقيقي اليوم، إن يسوع هو واقعي فقط لأولئك الذين يحبونه، فقط لأولئك الذين سوف يسلّمون حياتهم له، وهو يعمل للخير في جميع الأشياء فقط لأولئك الذين يحبونه.

يقول القديس بولس إنه في حياة أولئك الذين يحبونه، يكون الله في حالة عمل مستمر مثل يد رئيس فرقـة السـائـجين، حيث يأخذ خيبة الأمل وأحزان الحياة الساحقة ويستخدمها لينسج برـكات خاصـة ذات قيمة أبدية حـالـدة.

هل تحب الله؟ هل ترغب في التوبة إن كنت قد وضعت محبتك الأولى في الأشياء المخلوقة أو في الأشخاص أو في ذاتك؟ أو ترغب



أن تصلّى حتى يملأك الروح القدس محبـته؟ إن كان هـكـذا، فيـمـكـنكـ أـنتـ أـيـضاـ أنـ تـقـولـ: "إـنـيـ أـعـلـمـ أـنـ اللـهـ يـعـمـلـ فيـ جـمـيـعـ الأـشـيـاءـ لـلـخـيـرـ فيـ حـيـاتـيـ لـأـنـيـ أـحـبـهـ". إـنـكـ سـوـفـ تـصـيـرـ مـثـلـ الزـوـجـةـ الـتـيـ أـجـرـىـ زـوـجـهـاـ عـمـلـيـةـ جـراـحـيـةـ خـطـيـرـةـ،ـ وـالـطـبـيـبـ يـقـولـ لهاـ إـنـ جـسـمـ زـوـجـهـاـ مـنـتـشـرـ فـيـ السـرـطـانـ،ـ وـمـاـ هـيـ إـلـاـ أـسـابـعـ قـلـيلـةـ وـيـقـضـيـ أـجـلـهـ.ـ إـنـ استـحـاجـةـ الـمـرـأـةـ لـكـلـمـاتـ الـجـرـاحـ هـيـ مـثـالـ لـلـثـقـةـ مشـابـهـ لـمـاـ يـقـولـهـ الـقـدـيـسـ بـولـسـ فـيـ (ـرـوـ:ـ ـ٨ـ)ـ.ـ قـالـتـ الـمـرـأـةـ:ـ "ـإـنـيـ لـنـ أـصـدـرـ حـكـمـاـ بـخـصـوصـ هـذـاـ إـلـىـ أـنـ يـقـطـعـ اللـهـ بـهـذـاـ.ـ لـيـسـتـ لـدـيـنـاـ أـفـكـارـ مـاـ الـذـيـ سـيـحـدـثـ بـخـصـوصـ هـذـاـ المـوـقـفـ.ـ قـدـ لـاـ تـكـوـنـ الـأـمـوـرـ رـدـيـةـ مـثـلـمـاـ يـفـكـرـ الـجـرـاحـ،ـ قـدـ يـوـجـدـ أـمـلـ لـلـشـفـاءـ،ـ أـوـ قـدـ يـحـدـثـ شـيـءـ خـيـرـ غـيرـ مـتـوقـعـ مـنـ خـلـالـ مـرـضـ هـنـريـ.ـ إـنـهـ مـنـ الـمـبـكـرـ جـدـاـ أـنـ نـحـكـمـ الـآنـ،ـ إـنـ صـلـاحـ اللـهـ وـمـرـاحـهـ تـدـرـكـناـ كـلـ أـيـامـ حـيـاتـنـاـ،ـ وـلـنـ يـهـجـرـنـاـ الـآنـ،ـ تـمـاـمـاـ مـثـلـمـاـ قـالـ أـيـوبـ:ـ «ـفـلـوـ بـدـاـ أـنـهـ يـقـتـلـنـيـ،ـ إـلـاـ أـنـيـ سـوـفـ أـظـلـ أـثـقـ فـيـهـ»ـ.

يطلب هذا الكتاب من :

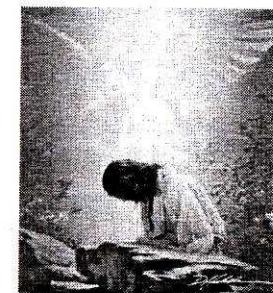
- ٠ مطرانية بنى مزار والبهنسا: (ت: ٣٣٠٣٠٧٨٣٧٦٠٨٦)
- (ت: ٧٠٧٨٧٧٢٥٣٧٥١٢)
- ٠ مكتبة المحبة - شبرا: (ت: ٦٦٢٥٧٥٢٥٢)
- (ت: ٤٤٧٤٢٠٢٢٠)
- ٠ مجلة مدارس الأحد: (ت: ١١٤٧٧٥٢٥)
- (ت: ٣٤٢٣٢٢٠٢٢)
- ٠ مكتبة ملر جس شيكولاني - شبرا: (ت: ١١١٧٦٧٧٦٠٨)
- ٠ مطرانية ملاوط: (ت: ٣٩٩٢٨٢٢١٠١)
- ٠ مكتبة الرجاء - المنيا: (ت: ٩٣٩٣٢٣٦٠٨٨)
- ٠ مكتبة دار الكلمة - أسيوط: (ت: ٦٨١٦٢٣٩٣٢)
- ٠ مكتبة نيوشيري - سوهاج: (ت: ٦٨١٦٢٣٩٣٢)
- ٠ من المكتبات المسيحية والكنائس بالقاهرة والأقاليم.

أطلب أيضاً لنفس المؤلف والمترجم

- | | |
|--|---|
| (١) الله يعلم للخير طبعة حادية عشر ٢٠١٠ | (٢) الأرثوذكسيّة الشرقيّة طريق الحياة طبعة سابعة ٢٠٠٩ |
| (٣) حضور الله وقت المرض والحزن والاكتاب واليأس طبعة خامسة ٢٠١٠ | (٤) الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور طبعة خامسة ٢٠١٠ |
| (٥) تطبيقات إنجيلية نافعة لموسم الصوم المقدس طبعة ثانية ٢٠١٠ | (٦) كيف تجعل زواجك سعيداً طبعة عشرة ٢٠١٠ |
| (٧) كلّهما بالمجده والكرامة طبعة رابعة ٢٠٠٩ | (٨) كلمات السيد المسيح على الصليب طبعة رابعة ٢٠٠٩ |

صلوة

أيها رب، كما سألت بطرس يوما، "سمعان بطرس أتحبني؟" هكذا أنتاليوم تسألي نفس السؤال. إن إجابتي إنما هي اعتراف، "سامحني يا رب، أنت تعلم أنني لم أحبوك دائمًا من كل قلبي. إن محبات هذا العالم الأقل شأنًا قد زاحمتك أحياها، ولكنني آتي إليك يا رب اليوم بحزن شديد، ساعدني لأفرغ من قلبي هذه المحبات الأدنتى حتى يملأني روحك القدس بمحبة كاملة لك، ولك وحدك"، لأنه توجد وصيّة عظمى واحدة لكل واحد: أنه يجب أن تحبّك من كل قلباً ومن كل نفسنا ومن كل قوتنا ومن كل فكرنا، وإن فعلنا هذا، فسوف تفيض محبتك محبة للقريب، وليس هذا فقط، بل سوف ترينا من خلال هذه المحبة أن جميع الأشياء سوف تعمل معًا لخيري الأبدي. آمين.



هذا الكتاب

كما أن حياة الإنسان لا تضيّعها الصدفة
بل هي في تدبّري دى الله الحكيم، فتقربات
الحياة يجب أن تزيد الإنسان إيماناً وثقة
بالله ضابط الكل، وهو يقدر أن يخرج من
الأكل أكلاً ومن الجافى حلوة (قض ١٤: ١٤).
فلا يجب علينا إلا أن نضع كل الأشياء بين
يدي الله - الأشياء الرديئة قبل الجيدة -
فالله عامل في كل الأشياء لتنتهي بالخير
في النهاية. فالله يحرس ويحافظ ويضبط
كل الأشياء لتعمل لخيرنا. حتى الأشياء التي
نخال أنها متعبة، الله يعمل فيها لبنيانا
التشكيلى ولنمو شخصيتنا وصفاتنا لتوهّل
لملكتوت ابن محبته.

الأنبا أثناسيوس
أسقف بنى مزار والبهنسا

المؤلف

هو الأب أنتونى م. كونيارس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم الأرثوذكسية اليونانية في مينيابوليس، وهو يتميز بغيره رسولية حارة .. كان مستولاً عن العمل الأرثوذكسي الطالبي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجتمع الاستشاري الديني. وقد نجح من خلال كتاباته في جعل الأرثوذكسيّة للشباب رسالة ذات تقليد حي، تتقبل كل ما هو حقيقي وجميل، وترفض كل ما هو زائف وفاشل.

يطلب هذا الكتاب من
مطرانية بنى مزار - والبهنسا
ت: ٠٨٦ / ٧٨٣٣٦٦٦ - ٠٨٦ / ٧٨٣٠٣٣
٠٢ / ٤٥٣٧٨٧٠٧ - ٠٢ / ٤٥٣٠٣٩٦
ومن المكتبات المسيحية والكتائس بالقاهرة والأقاليم